معتمد الدولة العليَّة على اثر حوادث سنة ١٨٦٠ لترتيب ونظارة المحرَّرات الرسميَّة التي كانت تُطبع في التركيَّة والفرنسية وتُرسل الى سفراء الدول ومعتمديها في بيروت والاستانة العليَّة · فاشتغل يوسف الشلفون بهذه القرارات الى اوائل سنة ١٨٦١ حتى تمَّ نظام جبل لبنان وتقرَّرت السكينة

وفي تلك السنة استأذن المذكور الدولة العليَّة بفتح مطبعة على حسابهِ الخاص فنال الرخصة المطلوبة وانشأ مطبعتهُ المعروفة بالمطبعة العمومية سنة ١٨٦١ وجعل ينشر المطبوعات المفيدة والكتب الادبيَّة والروايات والمنشورات التجاريَّة واوراق الحكومة الرسميَّة مدَّة سنتين · فسمع بهِ المرحوم داود باشا اول متصرّف جبل لبنان فاستقدمهُ ليساعدهُ على فتح مطبعة في مركز المتصرفية · فاجاب الى دعوتهِ وسلَّم اشغال مطبعتهِ في بيروت الى من يثق بامانتهم وانعكف على تنظيم المطبعة اللبنانيَّة فرتَّب ادواتها ودبَّر كل احوالها الى ان صارت تامَّة الاهبة قادرة على نشر التآليف المفيدة فعاد الى بيروت واخذ يهتم بتوسيع نطاق مطبعتهِ

ثمَّ استرخص من نظارة المعارف بنشر الجرائد فنشر منها اربعًا: الاولى جريدة الزهرة وكانت اخباريَّة انشأها في غرَّة سنة ١٨٧٠ وراجت سوقها نحو سنتين فألغيت لبعض الاسباب · الثانية النَّحلة انشأها القس لويس صابونجي وطبعها اولًا في المطبعة المخلصية ثم نقلها الى المطبعة العمومية مشتركًا مع يوسف افندي الشلفون بعد جريدة الزهرة باشهر قليلة نُشرت فيها بعض الفصول الادبيَّة والعلمية الحسنة ثمَّ أُبطلت مع الزهرة · الثالثة جريدة النجاح كانت اخباريَّة سياسية اصدرها ايضًا يوسف الشلفون سنة ١٨٧٠ وكانت تظهر في كل اسبوع مرَّة واحدة ثمَّ مرَّتين الى ان صارت يومية وهي اول جريدة يومية ظهرت في بلاد الشام (وليست جريدة الاحوال كما ظنَّ صاحب امتيازها) ودامت الى سنة ١٨٧٤ · والرابعة جريدة التقدُّم وسيأتي ذكرها

وكان المرحوم يوسف الشلفون عقد سنة ١٨٧١ شركة مع رزق الله افندي خضرا لنشر الكتب الدينية والمؤلفات الادبية على شرط ان يقتسما نفقات المطبعة وربحها فبقيا على ذلك مدَّة حتى باع يوسف الشلفون من شريكهِ امتياز جريدتهِ ومطبعتهِ العمومية ومذ ذاك الوقت صارت المطبعة العمومية بيد رزق الله افندي خضرا يشاركهُ في

اعمالها سيادة الحبر الفضال المطران يوسف الدبس وصار اسمها « المطبعة العموميَّة الكاثوليكية »

اما يوسف الشلفون فانهُ استرحم من جديد نظارة المعارف فرخَّصت لهُ سنة ١٨٧٤ بفتح المطبعة الكليَّة وإنشاء جريدة التقدُّم التي ظهرت مدَّة ثلاث عشرة سنة وكتب فيها بعض الكتبة البارعين لولا انَّهم تعرَّضوا مرارًا لامور الدين التي كانوا يجهلونها . وبقيت المطبعة الكليَّة على هذه الحال الى ان استأجرتها عمدة اخويَّة القديس جاورجيوس للروم الاورثدكس مع بقاء الامتياز والنظارة والمسئولية على صاحب الجريدة . ثمَّ توفي المرحوم يوسف الشلفون سنة ١٨٩٥ فصار امتياز المطبعة والجريدة الى ابنه

وهــذه اسماء الكتب التي صدرت من المطبعتين العمومية والكليَّة ونضيف الى الاولى ما صدر في المطبعة العمومية الكاثوليكية وفي مطبعة المصباح لانهــا كلها مطبعة واحدة :

١ المطبعة العموميَّة (١٨٦٢ ـ ١٨٧٧)

١ (الكتب الدينيَّة) ١ً زياح الشهر المريمي لانطون الشلفون (١٨٦٣ص١٠٠) = ٢ً قوانين اخويَّة العذراء البريئة من الدنس (١٨٦٥ . ص ٢١٤) = ٣ً صلوات خشوعيَّة لنظم الحياة الروحيَّة للخوري جرجس عيسى الراهب الباسيلي (١٨٧٢ . ص ٢١٨) = ٤ً مرشد المستخصين للخوري لويس توني (١٨٧٢ . ص ٥٢٧)) = ٥ً مختصر التعليم المسيحي لاحد الآباء العازاريين (١٨٧٥ . ص ١٥٠) = ٦ً قداسة الكاهن للخوري يوسف العلم (١٨٧٥ . ص ٢٧٢) = ٧ً مناجاة يسوع لقلب الكاهن للاب برتلماوس مونتي . عرَّبهُ الخوري يوسف العلم (١٨٧٦ . ص ٤٠٨) = ٨ً تحفة الارشاد لسكينة نفوس العباد للقس يوسف الشبابي (١٨٧٦ . ص ٢٢٤) = ٩ً اجتناء الاثمار في تكريس شهر ايار للاب اسفنانس برسالي عرَّبهُ القس يوسف الشبابي (١٨٧٦ . ص ٢٤١) = ١٠ً الحقائق الاديَّة في تهذيب الحياة الروحيَّة للقديس منصور دي بول تعريبهُ لهُ (١٨٧٦ . ص ١٩٣)

٢ (كتب المواعظ والتفاسير) ١ً العنوان العجيب في رؤيا الحبيب تأليف القس يوسف الحلبي (١٨٧٠ . ص ٦٣٤) = ٢ً تيسير الوسائل في تفسير الرسائل للخوري يوسف العلم (١٨٧٣ . ص ٩٣٠) = ٣ً مواعظ سيادة المطران يوسف الدبس (١٨٧٣ . ص [illegible]) = ٤ً مجموع آخر من مواعظهِ (١٨٧٤و١٨٧٥ . ص ٤٩٣) = ٥ً تحفة الجيل في تفسير الانجيل للخوري يوسف الياس الدبس (١٨٧٧ ص ١٠٣٤)

٣ (الكتب الفلسفيَّة واللاهوتيَّة) ١ً الادلة الجليَّة في سلطان الكنيسة الكاثوليكيَّة للخواجا لويس كتفاكو (١٨٦٤ . ص ٣٥٨) = ٢ً البرهان السديد في حقيقة التثليث في التوحيد . لهُ

(١٨٦٩ . ص ٢٥٥) = ٣ً اثبات لاهوت يسوع المسيح للخوري بطرس الحوري (١٨٦٩) = ٤ً التحفة الغرَّاء في دوام بتوليَّة العذراء للمطران بولس مسعد (١٨٦٩ . ص ٦٢) = ٥ً التذكرة الرقيمة في الديانة الفائقة الطبيعة للاب مارين دي بواليف اليسوعي . عرّبها المعلم اسكندر زيادة (١٨٧٣ . ص ٧٢) = ٦ً الرسوم الفلسفيَّة للاب دموفسكي اليسوعيّ عرَّبهُ الخوري يوسف الدبس (١٨٧٧ . ص ١٤٥)

٤ (الكتب الجدليَّة) ١ً رسالة الى سيادة رؤساء الطوائف الشرقيَّة غير المتحدين مع الكنيسة الرومانيَّة لاحد ابناء الكنيسة الشرقيَّة (الخوري يوسف الدبس ١٨٦٩ . ص ٢١٥) = ٢ً بعض كلمات في صدد جواب ميخائيل مشاقة على منشور البابا بيوس التاسع للشيخ نصر الدين بك النضنفري (١٨٧٠ . ص ٩٤) = ٣ً روح الردود في تفنيد زعم الخوري يوسف داود (١٨٧١ . ص ٣٥٢) = ٤ً كشف الستار وابلاء العذار مجاوبة على الخوري يوسف داود لبولس زين (١٨٧٢ . ص ٣٤) ٥ً برهانات قاطعة ملزمة كل بروتستاني ان يصير كاثوليكيًا وكل كاثوليكي ان يستمرّ على مذهبهِ للسيد لاڤال عرَّبهُ الخوري بولس الياس الدبس (١٨٧٣ . ص ٦٥)

٥ (الكتب المدرسيَّة والادبيَّة والشعريَّة) ١ً مراثي المرحومة كاتبة بسترس (١٨٦٣ ص ٣٦) ٢ً ترجمان المكاتبات للمعلم يوسف الشلفون (١٨٦٣ . ص ٥٢ . ثمَّ كُرّر طبعهُ مع تحسينهِ سنة ١٨٦٥ و ١٨٦٩) = ٣ً كتاب مستطف المستظرف جمع جرجس شاهين الابليّ (١٨٦٤ . ص ٦٤) = ٤ً كتاب تسلية الخواطر في لطائف النوادر جمع المعلم يوسف الشلفون (١٨٦٤ . ص ٦٠) = ٥ً كتاب نفحة الريحان للشيخ ناصيف اليازجي (١٨٦٤ . ص ١٢٨) = ٦ً نبذة في تهذيب الاخلاق للشيخ ابي زكريَّا بن عديّ (١٨٦٦ . ص ٤٤) = ٧ً ديوان السلطان خليل (١٨٦٦ . ض ٢٤) = ٨ً قصيدة الطغرائي مع شرحها (ص ٣٦) = ٩ً منظومات الشيخ امين الجندي وقد كُرّر طبعهُ = ١٠ً ديوان الشيخ قاسم الكستي المدعو مرآة الغريبة (١٨٦٩ . ص ٧٥) ١١ً مغني المتعلم عن المعلم للخوري يوسف الدبس (١٨٦٩ . ص ١٢٨) — وعليهِ ملحقان للتمرين (١٨٧٠ . ص ٨٣) . وقد كُرّر طبعهُ (سنة ١٨٩١ . ص ١٨٧) = ١٢ً روضة الازهار في نظم الاثمار للقس انطونيوس الافغالي الراهب اللبناني (١٨٧٠ . ص ٤٩) = ١٣ً مشهد الاحوال لفرنسيس فتح الله مرَّاش (١٨٧٠ . ص ١٣٠) = ١٤ً مراثي السيد المطران طوبيا عون (١٨٧١ . ص ٧٢) = ١٥ً الذهب الابريز في مدح السلطان عبد العزيز لشاكر شقير اللبناني (١٨٧٢ . ص ٦٤) = ١٦ً الميزان الذهبيّ في الشعر العربيّ للخوري ارسانيوس الفاخوري (١٨٧٣ . ص ٨٠) = ١٧ً السطعة للسبعة (١٨٧٢ . ص ٧٣)

٦ (الكتب التاريخيَّة والمليَّة) ١ً نبذة من تاريخ يوسيفوس اليهودي (١٨٦٦ . ض ٩٠) ٢ً راشد سوريَّا للخوري انطون بولاد (١٨٦٨ . ص ٢٢٦) = ٣ً سفر الاخبار في سفر الاحبار للخوري يوسف الدبس (١٨٦٨ . ص ٤٢٢) = ٤ً تحفة الزمان في تاريخ الرومان للشهير دورروي (١٨٧٢)

٧ (الكتب الفقهيَّة) ١ً رسالة الاعداد الرضيَّة في المسائل الفرضيَّة للبطريرك مكسيموس مظلوم (١٨٦٣. ص ٤٤) وطُبع ايضًا في هذه المطبعة شيء من القوانين التجاريَّة والشرعيَّة

٨ (كتب روايات ونوادر شتَّى) ١ً رواية الشاب الجاهل السكير للخواجا طنُّوس افندي الحرّ (١٨٦٣. ص٤٢) = ٢ً نزهة الجلَّاس في نوادر ابي نوَّاس (١٨٦٤. ص ٦٤) = ٣ً رواية الذميم والذميمة للخوري انطونيوس قندلفت (١٨٦٤. ص٦٤) = ٤ً رواية بول وفيرجيني تعريب سليم صعب (١٨٦٤. ص ٩٠) = ٥ً كتاب روضة المزبان (١٨٦٤. ص ٤٥) = ٦ً الرواية الادبية بالحدعة الدروجيَّة للسيد سليم افندي ابن عبد الغني رمضان (١٨٦٦. ص ٣٢) = ٧ً رواية حفظ الوداد ليوسف الشلفون (١٨٦٦. ص ٨٩) = ٨ً رواية الامير مونتيكريستو (١٨٦٦. ص٢٢١) = ٩ً رواية تحفة الرشديَّة في العلوم العربيَّة للشيخ ابراهيم افندي الاحدب (١٨٦٧. ص ٧٩) = ١٠ً ارزة لبنان. مجموع روايات البخيل والمغفَّل والحسود لمارون نقاش (١٨٦٩. ص٤٩٦) = ١١ً الصدفة الغريبة في قصَّة الاخوين العجيبة تعريب جبرائيل عبد الله الخوري (١٨٧١. ص ٨١) = ١٢ً رواية جنفياف تعريب مخائيل جهشان

وفي العدد القادم نثبت مطبوعات المطبعة العمومية الكاثوليكيَّة والمطبعة الكليَّة

(ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Opuscules Maronites (2e partie);
et vie de Sévère patriarche d'Antioche
par F. Nau du Clergé de Paris, pp. 1900

آثار مارونية (القسم الثاني)

سبق لنا وصف هذه الآثار في المشرق (٢: ٧١٦). امَّا هذا القسم الثاني فيتضمَّن تتمَّة الترجمة الفرنسية للمقالات التي نشر السنة الماضية اصلها السرياني حضرة الاب نو الكاهن الفرنسي. وهي عبارة عن قطعة تاريخية لاحد قدماء الكتبة الموارنة ورد فيها شيء من اخبار الخليفة معاوية (راجع المشرق ٢: ٢٦٥) يليها قطعة اخرى جداليَّة بين احد اليعاقبة والملكيين في شأن الزيادة التي يُلحقها السريان بالتريزاغيون اعني: «يا من صُلِبَ عنَّا». ثمَّ يتبعها نبذة ثالثة تحتوي ترجمة ساويروس اليعقوبي بطريرك انطاكية الدخيل لزكَّريا الكاتب معاصره في القرن السَّادس للمسيح. وهذه الترجمة الاخيرة تفيدنا امورًا كثيرة عن احوال بيروت في ذلك العصر حين دخلها ساويروس وزكَّريا صاحب

ترجمته ليدرسا فيها الفقه . فيعلمنا الكاتب انَّ بيروت كانت وقتئذٍ زاهرة بالآداب يأتيها الدارسون من انحاء المعمور ليأخذوا عن مشاهير علمائها . وكان لها عدَّة ابنية فخيمة كالقصور والمراسح والملاعب يجري فيها سباق العجلات والألعاب التشخيصيَّة . وكانت لغة القوم الفصيحة هي اليونانية واللغة الدارجة بين الجمهور السريانية . وكان للمدينة والٍ وتحت امرتهِ فرقةٌ من الجند . امَّا النصرانيَّة فكان لها نفوذ عظيم في ذلك العهد فانَّ زكريَّا الكاتب يذكر لها اسقفًا اسمهُ يوحنا ذا علم وتقى شديد اليد على اهل البدع والسَّحرة . ويثني المؤلف على فضل اهل بيروت يصفهم بالوداعة وخوف الله وحبّ الصلاة والصوم . وكان عدد الكنائس وافرًا من جملتها « كنيسة القيامة » و« كنيسة السيدة ام الله » و « كنيسة القديس يهوذا » اخي يعقوب البارّ الذي يُروى عنهُ انهُ استشهد في بيروت و « كنيسة الشهيدين » (ܣܗܕܐ ܘܐܚܘܗܝ) لعلَّهُ يريد القديسين سرجيوس وباخوس وكان ذكرها شائعًا في الشرق

وممَّا يُستفاد ايضًا من هذه الترجمة انَّ كثيرين من عبدة الاوثان كانوا لا يزالون في بيروت يقدّمون للاصنام الضحايا الرجسة و يتعاطون الاعمال السحريَّة لترويج غايات ذميمة حتى اضطرَّ اسقف بيروت الى ان يلتجئ الى الحكومة المحلية لمعاقبة هؤلاء الاشرار

هذه بعض الافادات استخلصناها من هذا الكتاب مردّدين آيات الشكر على ناشرهِ الفاضل

Le monnayage alexandrin d'Arados
par le Dr J. Rouvier, Paris, pp. 32, 1900.

نقود الاسكندر في ارواد

قد بلغ الدكتور روڤيه في علم المسكوكات والنقود الشرقيَّة مقامًا رفيعًا لا يزال يقرّرهُ ويُعليهِ بمقالات متواصلة كلها فوائد . واليوم اهدانا جنابهُ نسخة من مقالة نشرها في « مجلة المسكوكات » يبحث فيها عن نقود الاسكندر الكبير التي ضُربت في جزيرة ارواد من سنة ٣٣٢ الى سنة ١٩٨ قبل المسيح . ولم يكتفِ الدكتور روڤيه بان يصف هذه الآثار بل تعرَّض لآراء واهنة كان يستند اليها العلماء قبلهُ ففنَّدها ببيّنات

لا تُبقي بعدها شكًّا في العقول. فنشكر للدكتور همَّتهُ الناهضة ونتمنى ان يزيدنا بعلمهِ نفعًا ل. ش

شذرات

ردٌّ من الشوير — اتانا من دير مار يوحنا الصابغ في الشوير ردٌّ على ما كتبناهُ في مطبعة هذا الدير ونشنها (المشرق ٣: ٧٢٨) فلم نجد فيهِ ما يستحق الذكر وعدلنا عن ادراجهِ لئلَّا نضيع الوقت في تفنيد ما يظهر لنا اوضح من النهار. ولا بأس ان ينشرهُ كاتبهُ في الضياء. كما تهدَّدنا بذلك فاننا لسنا ممَّن يخافون التهديد

سؤالنا للمنار — كنَّا سألنا المنار اين وجد في نصوص الكتاب الكريم والآباء ما اثبتهُ عن انبثاق الروح القدس من الاب «وحدهُ» فكأنَّهُ لم يفهم السؤال فاتانا بآيات تدلُّ على انبثاق الروح القدس من الآب وهو امرٌ مسلَّم. امَّا لفظة «وحدهُ» فلم نجدها في هذه النصوص فان كان من الصادقين فليؤيد قولهُ بشواهد اخرى يُحسن انتقاءها هذه المرَّة فتدلُّ على ما زعم

حلُّ اللغز التاريخي الوارد في العدد ١٨ ص ٨٥٩ — عرضنا في العدد ١٩ من المشرق (ص ٩١١) حلَّ اللغز التاريخي الوارد في آخر كتاب يتيمة الدهر المطبوع في دمشق ونحن مع ذلك في ريبٍ من حلّنا. ثم راجعنا كتاب «تسهيل المجاز الى فنّ المعمَّى والالغاز» فوجدنا ضالَّتنا. لأنَّ فيهِ فصلًا مطوَّلًا في هذه الالغاز التاريخيَّة التي نُسب اختراعها الى العلَّامة ابن كمال من ادباء القرن العاشر للهجرة. والفصل المذكور (ص٤٧—٥٥) يحتوي طرائق عديدة لهذه الالغاز التاريخيَّة لا يسعنا ان نثبتها هنا. ولعلَّ مصنف هذا الكتاب هو الذي عرض هذا اللغز في آخر طبعة يتيمة الدهر. فلفظة العقد تدل في هذا اللغز كما روينا على ثلاث عشرات الشهر ثمَّ على الشهور الاثني عشر ثمَّ على السنين وعشرات السنين ومئات السنين والوف السنين. ولكن لا حاجة الى قسم هذه العقود الى انصاف كما ذكرنا. فقولهُ اذن انَّ الكتاب نجز طبعهُ «في اواسط العقد الثاني من العقد التاسع» يريد بهِ اليوم ١٥ من شهر شوَّال. وقولهُ «من العقد الثالث من العقد الاوَّل» اي العام الثالث من العشر السنوات الاولى. وقولهُ اخيرًا «من العقد

الرابع من العقد الثاني » اراد بهِ المئة الرابعة من الالف الثاني للهجرة فيكون التاريخ سنة ١٣٠٢. وقد سرَّنا انَّ مجلَّة المحبَّة احسنت حلَّ هذا اللغز

ملاحظاتنا على فصل اسرار طفولية المسيح وصباهُ سُئلنا هل الملاحظات المضافة في ذيل المشرق الى فصل اسرار طفوليَّة يسوع وصباهُ (ص ٩٣٢ و ٩٣٣) تمسّ شيئًا من الايمان او الآداب. فجوابنا انما هذه آراء ارتآها اللاهوتيون لا تمسّ الايمان والآداب بتَّةً وقد اثبتناها فقط تتمَّة للفائدة ليس الَّا ومن لهُ إلمام في اللاهوت لا يجهل ان للعلماء في ما سوى مذاهب الايمان والآداب آراء عديدة يعرضونها على سبيل الباحثة او الترجيح فلكلٍّ ان يرتأي ما يراهُ اقرب الى الصواب وفقًا لقول القديس اوغسطينوس: الوحدة في عقائد الايمان. الحرّيَّة في الامور غير الثابتة. والمحبة في كل شيء. (in fide unitas, in dubiis libertas. in omnibus caritas). فمعاذ الله اذن ان نبخس ذرَّةً الكتاب الجليل الفوائد الذي اخذنا عنهُ هذا الفصل ل.ش

اسئلة واجوبة

س سأل الاديب ر. عبّود بن حمص ان نذكر لهُ تاريخ انتشار النصرانية في حمص واشهر اساقفتها وكنائسها القديمة. ٢ ان ندلهُ على موقع دير القديس سمعان (مندرا) الذي يذكر المؤرخون انهُ كان بجوار حمص

آثار النصرانية في حمص ودير مار سمعان

ج نجيب على الاول انَّ لنا مقالة في ما طلبهُ السائل ننشرها ان شاء الله بعد ختام مقالتنا في آثار لبنان. وعلى الثاني اننا نطلب من حضرة الكاتب ان يذكر لنا المؤرخين الذين اشار اليهم فنجيب على سؤالهِ ه.ل

س سألنا احد المشتركين: هل ان القديس اوغسطينوس من قديسي الشرق او الغرب واين موقع مدينتي ايبونا وقرطجنَّة الوارد ذكرهما في ترجمتهِ وهل كان هذا القديس مزوَّجًا

افادات عن القديس اوغسطينوس

ج القديس اوغسطينوس معدود من قديسي الغرب وان كانت الكنيسة الشرقيَّة تعتبرهُ كاحد اولياء الله المبرّزين كما اثبت ذلك البشير والمنار معًا. وقد اشتهر في افريقية وصار اسقفًا على مدينة ايبونا وتدعى اليوم بونة من بلاد الجزائر. امَّا قرطجنَّة فمن بلاد

تونس لم يبقَ منها غير اخربتها الجليلة . — ثمَّ ان القديس اوغسطينوس قبل نبذهِ شيعة المانويين اولد ابنًا فقط دعاهُ اديودات ثمَّ تعفَّف وبلغ من القداسة مقامًا عظيمًا

س هل للّغة العربية اعصار مختلفة من جهة الانشاء والبيان كاللغة الفرنسية وما هي تقاسيم هذه الاعصار واشهر أدبائها

اعصار اللغة العربية

ج ليس للّغة العربية عصرٌ معلوم بلغت فيها اللغة اوج كمالها عند اليونان واللاتين والفرنسويين . واذا قابلنا بين كتابات القرن الاول للهجرة والقرن الخامس والسادس لا نكاد نرى في الانشاء اختلافًا يُذكر . وما يمكن قولهُ اجمالًا ان اللغة كانت في الجاهليَّة واوائل الاسلام اشدّ ضبطًا وافصح لسانًا واسلم ذوقًا منها في الاعصار التالية . لاسيما الشعر فان الشعر الجاهليّ ابلغ من شعر الشعراء بعد الجاهلية كما يقرُّ في ذلك جهابذة اللغة . وهذا السؤال يقتضي بحثًا مطوَّلًا نعود اليه ان شاء الله

س سألنا ل . ل . احد أدباء طرابلس ما معنى قول الرسول في رسالتهِ الى العبرانيين (٧ : ٣) عن ملكيصادق انَّهُ ليس لهُ ابٌ ولا امٌ ولا نسب »

نسب ملكيصادق

ج يريد الرسول ان الكتاب المقدَّس الذي اورد في سفر التكوين نسل الاباء الاوَّلين لم يذكر شيئًا عن نسب ملكيصادق مع سموّ مرتبتهِ فصار هذا الكاهن رمزًا خصوصيًّا للسيد المسيح لانَّ كهنوتهُ ابدي لا علاقة لهُ مع اللحم والدم (راجع شرح هذه الآية في آخر الكتاب المقدس المطبوع في مطبعتنا)

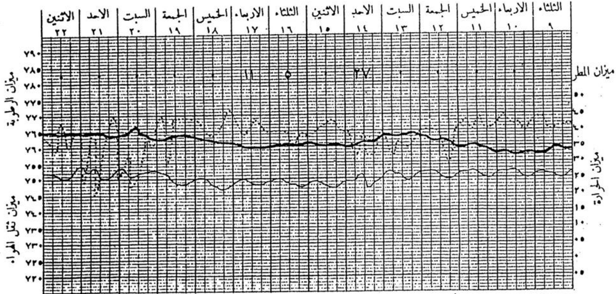
س سألنا جناب الاديب اسكندر اسطفان مزرعاني من البترون كيف امكن الحمامة التي اطلقها نوح (تكوين ٨ : ١١) ان تأتي بغصن زيتون اخضر مع ان الطوفان كان ذهب بكل شيء وان قيل انهُ لم يذهب بالاشجار فكيف بقي الشجر اخضر في هذه المدَّة

حمامة نوح وغصن الزيتون

ج ليست الزيتونة كبقيَّة الاشجار فان ارباب الطبيعة من الاقدمين والمحدثين ممَّا اثبتوا بالتجربة انَّها تعيش في الماء وتبقى اغصانها فيهِ زمنًا طويلًا خضراء نضرةً ل . ش

※ اصلاح بعض اغلاط طبية ※ جاء في الصفحة ٨٠٣ س ٥ « منتناخ » والصواب « منفتاح » = ص ٨٤٨ س ١٩ « منافضةً » والصواب « مناقضةً » = ص ٨٥٩ س ٢٠ « المطبعة الحنفية » والصواب « الحُنفية » = ص ٩٠٤ س ٣ « لا شيء في العالم عن حكم الله » والصواب « يخرج عن حكم الله » = ص ٩٣٣ س ٢٥ « انَّ الطفل يسوع سائرًا » والصواب « سائرٌ » = ص ٩٥٦ س ٨ و ١٢ « الماسونين » والصواب « الماسونيين » = ص ٩٥٩ س ١٠ «*Domins*» والصواب «*Domino*»

قائمة للآثار الجويّة   من ٩ الى ٢٢ تشرين الاول   ١٩٠٠



انَّ الخطَّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطَّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر المليمترات

السنة الثالثة　　العدد ٢١　　١ تشرين الثاني سنة ١٩٠٠

المشرق

اغتذاء النبات

اصل المادَّة النباتيــة *

لجناب الكاتب المجيد سليم افندي اصفر

يتركَّب المُلك الآليّ في الطبيعة من العناصر التي يتألف منهـا الملك المعدنيّ فاذا حلَّلت النبات والجماد وجدت لهما اجساماً بسيطة متشابهة اعني عناصر معدنيَّة او شبيهة بالمعدنيَّة (métalloïdes)· ومن بحث عن اسرار الطبيعة يرى فيها نظاماً عجيباً او بالحري دوراً متناسقاً يشهد بحكمة الخالق وتدبيرهِ الجميل فان الحياة تستعير موادَّها التي بها قوامُها من المعادن ثمَّ لا تلبث ان تردَّ لها العارية· والمعدن هو اصل هذه الحركة الطبيعيَّة فانَّ قوى النبات تعمل فيهِ فتستخلص منهُ ما تحتاج اليهِ وتدخلهُ في تركيب جوهرها الحي حتى اذا نالت حاجتهـا اعادتهُ الى عالم الجماد فيتمّ بذلك هذا التبادل العجيب بين المملكتين الطبيعيَّتين دون ان يُفقد في عالم الكون شيء من العناصر الكيموية التي خلقها الله في البدء·

هذا ولا ننكر ان اصناف النبات التي يبلغ عددها ٢٠٠٠٠٠ نوع على ما يرويهِ ارباب الطبيعة لمختلفةٌ جدًّا في تراكيبها وهيئاتها وخواصها · فترى منها ما ينمو ويزكو فيصير اشجاراً كبرى باسقة الاغصان ممتدَّة الافنان عديدة الاشكال ومنها ما هو غاية في الصغر والدقَّة لا تكاد العين تميّزهُ مع تعدُّد اجناسهِ· فبعضها لا غنى عنهُ لغذاء

* هذه الكتب التي استندنا اليها في مقالتنا: E. Gain : *Chimie agricole* — A. Muntz et A. Ch. Girard : *les Engrais*, t. I — Schloesing : *Chimie agricole* — Emile Garnier : *une révolution agricole.*

البهيمة والانسان وبعضها يُستخرج منهُ ضروب الزيوت والسموم الناقعة. لكن لهذه النباتات المتباينة الاشكال المتنافية الخواص جامعاً يجمعها ألا وهو تركيبها الكيموي فاذا تبيّنتهُ وجدت انّ هذه الاختلافات انّما هي في الظاهر فقط. اما عناصر الأنبتة التي يتألف منها الارز الفخيم او الاقحوان الوسيم. البرّ الغاذي او الشوكران القاتل. الخوخ الطيّب او اللفّاح المُنيم فهي هي في كلها كسدى نسيج واحد او كجبلة عجين فرد. وان سأل سائل أنّى لها هذا الاختلاف العظيم والفرق الجسيم ? أجبنا انّما ذلك يتأتى لها من اصل هذه العناصر التي تدخل فيها او من طبائعها ونظام دقائقها واختلاف نسب بعضها الى بعض بالكم والكيف

ولكن يا تُرى ما هي هذه العناصر الاوليَّة التي لا بدَّ من الرجوع اليها عند بيان عمل النبات وخواصهِ العجيبة. هذا سؤَال نجيب عليهِ في ما يأتي

عناصر النبات الضرورية

اعرض نباتاً على النار ليحترق فترى للحال الابخرة تتصاعد منهُ على هيئة الغاز او الدخان، فاذا بحثت عن هذه الابخرة وجدتَ فيها خلطاً من الكربون والهيدروجين والاكسيجين والازوت. فهذه العناصر الاربعة تدخل في النبات بنسبة ٩٠ في المئة وهي تُدعى العناصر الآليَّة وتكون في النبات على تراكيب لا تُحصى. وما يبقى منها بعد احتراقها انما هو راسب مُحمَّم يدعى رماداً وهو قسم النبات غير الآلي. واذا حللت هذا الراسب وجدت فيهِ اركاناً عشرة معدنيَّة امتصَّها النبات من التربة وهي: البوتاسيوم والصّوديوم والكلسيوم والمغنيسيوم والحديد والمنغنيسا والفسفور والكبريت والسيليسيوم والكلور. وهذه المعادن مع قلتها لا يستغني عنها النبات لحياكة انسجتهِ العجيبة

فترى ممَّا تقدَّم انَّ الانبتة لا تحتوي على اكثر من اربعة عشر عنصرًا او جسماً بسيطاً. واعلم انّ هذه الاركان لا ينفصل بعضها عن بعض بتةً فمنها لُحمة كل نبات لا يقوم الّا بها ولا يحتاج الى غيرها. امَّا كميَّتها في كل فصيلة من فصائل النبات فهي كثيرة الاختلاف. وربّما حصل هذا الاختلاف من تركيب التربة التي فيها ينبت النبات. مثال ذلك انَّ المادَّة الصوَّانية تغلب على تبن الحبوب. فرماد القمح يتضمن منها ٧٠ في المئة. امَّا الحامض الفسفوري فكثرتهُ في جذور الشجر وتلقاهُ ايضاً في الحبوب على هيئة الفُسفات. فمنهُ فيها من ٤ اقسام الى ٨ في المئة اللهمَّ الّا بعض انواعها كالانبتة

الصليبيّة الهيئة (crucifères) والبقول والانبتة الورديّة الشكل (rosacées) او الخيزرانيّة (joncées) واليتوعات (euphorbiacées) وهلمّ جرًّا . وكذلك ترى البوطاسا تكثر في نبات البرّ . فان رماده يحتوي من ٢٠ قسمًا الى ٥٠ في المئة منها . بخلاف الصودا التي تكثر في نبات البحر (١ وكثيرًا ما يدخل في النبات اكسيد الحديد فاذا تعذّر فيه نتج من ذلك مرضٌ للنبات يدعونهُ كلوروز (chlorose)

وهذا جدول صنّفهُ النباتيّ بوسنغو (Boussingault) يبيّن لك كميّة المعادن التي تدخل في تركيب مئة جزء من رماد بعض الانبتة

جدول لمعرفة كميّة المعادن الداخلة في رماد النبات

اسماء النبات	كميّة الرماد في المئة	من الحامض الكربوني	من الحامض الكبريتي	من الحامض الفسفوري	من الكلور	من الكلس	من المغنيسيا	من الصودا	من البوطاسا	من السيليس
البطاطا	٤	١٣,٤	٧.١	١١,٢	٢.٧	١,٨	٥,٤	اثرمنهُ	٥١.٥	٥,٦
الشمندر	٦,٢	١٦.١	١.٦	٦	٥.٢	٧	٤,٤	٦	٣٩	٨
اللفت	٧,٦	١٤	١٠.٩	٦,١	٢,٩	١٠,٩	٤,٢	٤,١	٣٣,٧	٦,٤
القمح	٢,٤	١١	١	٤٧	اثرمنهُ	٢,٩	١٥,٩	اثرمنهُ	٣٩.٥	١,٢
تبن القمح	٧	»	١	٣.١	٠,٦	٨,٥	٥	٠,٢	٩.٢	٦٧,٦
الشوفان	٤	١,٧	١	١٤.٩	٠,٥	٣,٧	٧,٧	٠	١٢,٩	٥٣.٢
الحمص	٣,١	٠,٥	٤,٧	٣٠,١	١,١	١٠,١	١١,٩	٢,٥	٣٥.٢	١,٥
اللوبيا	٣,٥	٣,٢	١,٢	٢٦,٨	٠,١	٥,٨	١١,٥	»	٤٩,١	١
الفول	٣	١	١,٦	٣٤,٢	٠,٧	٥.١	٤٥,٢	»	٤٥,٢	٠,٥

١) اعلم انّ اهل الشام الذين يسكنون شرقي دمشق يجمعون كميّة وافرة من نبات الصودا (Salicorne) فيبيعونها في دمشق لعَمَلة الصابون . وفي بعض الامكنة يجمعون اكداسًا من هذا النبات يجعلون تحتها حفرةً في الرمل فاذا تمّ احتراقها جمعوا من الحفرة مادة يدعونها « قلي الحجر » تتركّب من كربونات الصودا

وقد يوجد في بعض الاحيان عناصر اخرى عرضية تدخل في تركيب النبات كالبُروم واليود والنحاس الخ . وهذا جدول ثانٍ يحتوي مجمل العناصر الداخلة في النبات

١ العناصر الاوليَّة الاصليَّة

- العناصر الغازيَّة
  - الازوت ، الهيدورجين } يتركب منها الامونياك
  - الهيدورجين ، الاوكسيجين } الماء
  - الاوكسيجين ، الكربون } الحامض الكربوني
  - الامونياك والماء والحامض الكربوني } الحامض النطري } الاجسام الدهنية ، الاجسام المشتركة ، الحوامض النباتيَّة
- العناصر الجامدة
  - البوطاسا ، الصوديوم ، الكلسيوم ، المغنيسيوم ، الحديد } تتركب مع الاكسيجين والحوامض
  - المنغنيسا ، الفسفور ، الكبريت ، السليسيوم ، الكلور (١ } تتركب مع الاكسيجين والاجسام الركنيَّة في حالة حموضتها
  - } ارمدة النباتات

٢ العناصر الثانويَّة العرضية

البروم . الصودا . الالومينيوم . النحاس . الرصاص . الزنك . النيكل . الكوبلت . الباريوم . السترونسيوم . الليثيوم . الروبيديوم . القيسيوم . الفضَّة

واعلم ان الموادَّ المعدنية ليست منقسمة في النباتات اقساماً متساوية . فانك اذا وزنتَ رماد الحبوب وجدت المعادن فيها بنسبة ٢ الى ٥ في المئة امَّا رماد التبن فانَّ نسبة معادنهِ تبلغ ٤ الى ٧ في المئة وفي جذور الشجر ٤ الى ٨ في المئة . والقياس في ذلك انَّ الموادَّ المعدنيَّة تزيد في النبات بقدر ما يزيد تبخير اجزائها ولذلك ترى كميَّة اوفر من

---

١) يُعَدّ الكلور في جملة الاجسام الجامدة لأنَّ هذه الاجسام تدخل في غذاء النبات بواسطة مركَّبات الكلور

المادن في رماد الحشيش منها في رماد الشجر . واقسام الشجر نفسها تختلف في كميَّة المادن فان كميَّة المادن في اقسامها الخشبية اكثر منها في قشرها

مصدر العناصر النباتية

لا يخفى ان للنبات حياتين جوّية وارضية فترى رأسهُ واغصانهُ وساقهُ ممتدة في الجوّ امّا جذورهُ فتغوص في التربة وتنبسط تحت الارض . وذلك لينال النبات من الجوّ والتربة معًا ما يحتاج اليهِ لقوام حياتهِ وتركيب أنسجتهِ . وهذه العناصر التي لا يستغني عنها النبات يجدها في الهواء والماء والتربة فهذه الثلاثة الاركان تقرّب اليهِ مادّة حياتهِ اي عناصرهُ الآلية والمعدنية

مصدر العناصر الآلية في النبات

قلنا انَّ العناصر الآلية الداخلة في جوهر النبات اربعة الاكسجين والهيدروجين والكربون والازوت . وهاك مصدرها :

١ (مصدر الاكسجين في النبات) يستمدُّ النبات ما يلزمهُ من الاكسجين من الهواء . والنبات كما الحيوان لا يعيش دون الاكسجين الصرف غير الداخل في تركيب الاجسام فاذا حُرمهُ يبس ومات . نقول ذلك اجمالًا لانَّ بعض الانبتة كخميرة البيرة يمكنها ان تعيش زمنًا طويلًا دون الاكسجين الصرف . فيصيبها اذ ذاك في موادّها السكَّرية تغير يُدعى اختمارًا . والنبات يستخرج ايضًا قسمًا من الاكسجين من الحامض الكربوني او من الماء المركَّب من الاكسجين والهيدروجين بنسبة ٨/١ . واكثر ما يحتاج النبات الى الاكسجين في وقت ذرّ الحبوب وطلوعها . ولذلك ترى التُرَب التي لا ينفذ فيها الهواء تهلك حبوبها وتفسد

٢ (الهيدروجين في النبات) النبات يمتصّ الهيدروجين من الماء ولا يتخذهُ من حالتهِ الغازيّة الصرفة . ويمكنهُ ايضًا ان يستخلصهُ من الامونياك لانَّ ثلث الامونياك بثقلهِ يتركَّب من الهيدروجين

٣ (كربون النبات) مصدرهُ الاول من الهواء . وذلك انَّ ورق الشجر اذا اصابتهُ اشعة الشمس امتصَّ الحامض الكربوني المنبث في الهواء . ومصدرهُ الثاني من التربة لانَّ الارض تحتوي عدَّة موائع وغازات يدخل فيها الكربون فاذا امتصَّ النبات من التربة بجذورهِ المحلولات الملحيَّة اكتسب ايضًا شيئًا من الحامض الكربونيك الممتزج بها .

لكن هذا القسم لا ينفع النبات الّا عند بلوغهِ الورق فتعمل فيهِ اشعة الشمس بقوَّة المادَّة الملوَّنة المعروفة بالكلوروفيل (chlorophylle)

فمن ثمَّ ترى انَّنا بامتزاج الماء بالهواء نحصل على اصناف من المركَّبات الآليَّة التي تختلف في تركيبها وهيئاتها اختلافًا كليًّا. فمن هذا الامتزاج يتولَّد السكَّر في الاثمار والشمندر. والنشأ في القمح والقلقاس. والمادَّة الدبغيَّة في العفص. والراتينج في الصنوبر الى غير ذلك من المفاعيل العجيبة التي تظهر لنا في النبات

ولا يظن الزارع انَّ النبات اذا اجتذب هذه العناصر اي الكربون والهيدروجين والاكسيجين يُفقِر التربة بذلك. كلاَّ لان الخالق قد وفَّر هذه الاركان في الطبيعة لينال منها النبات ملء حاجتهِ. وفي الجوّ خزانة غنيَّة بهذه الاجسام فيها ما يكفي لغذاء النبات مدةً مئين بل الوف من السنين دون ان نتكلَّف لذلك همًّا ما. ومن اراد تسميد ارضهِ فليعمل ولا يصرف همَّهُ الى هذه العناصر الثلاثة

٤ (الازوت في النبات) هو رابع العناصر الآلية التي يحتاج اليها النبات. والازوت في الطبيعة أوفر من غيرهِ من العناصر. وكميَّتهُ في الجوّ تبلغ اربعة اخماسه. ولكنَّ النبات لا يمكنهُ ان ينتفع بهِ توًّا إلَّم يستخرجهُ من الموادّ الازوتيّة الموجودة في التربة

كان النباتيون يعتبرون ازوت الجوّ قبل سنين قلائل كعنصر لا نفع منهُ للنبات. وقد كذَّبت اختبارات العلماء الحديثة هذا الظنَّ وبيَّنت جليًّا انَّ للازوت الجويّ عملًا متَّصلًا. وذلك انهُ يدخل في تركيب انسجة كثير من انواع الميكروب التي تشغل التربة وتسكن في اصول البقول. ولولا هذه الميكروبات لما تمكَّنت البقول من النموّ في الاراضي الخالية من الازوت. وربَّما غنيت الاراضي بهذا العنصر بعد افتقارها لوجود هذه الميكروبات النافعة وقد اصلح ارباب الفلاحة بهذه الواسطة اراضي بائرة لم تأتِ من ذي قبل بغلَّة تُذكر (١

وان سألنا القارئ كيف استطاع العلماء ان يكتشفوا هذه الاسرار المكنونة؟ أجبنا ان الاساتذة المشاهير برتلو (Berthelot) وهلريغل (Hellriegel) وويلفرث (Wilfarth)

---

١) راجع تأليف العلَّامة غان (Gain) في الكيميا الفلاحية ص ٢١ و ٢٢

لحظوا في اصول البقول ما ينجم فيها من البثور واشباه النفّاخات فتحدوها فحصاً مدقّقاً فوجدوها اجساماً آليّة تفعل في النبات فعل الخميرة في العجين فتنقل اليه ازوت الجوّ وتثبّتهُ فيه. وهذا القول مُجمل يحتمل بعض الشذوذ فان الترمس مثلاً يخرج عن هذه القاعدة كما بيّن ذلك حديثاً الإستاذان فرنك (Franck) وستوكلاسا (Stoklassa) من مَلَسي كليّة براغ (١

هذا وان النبات يجد في التربة ثلاثة مخازن تحتوي على الازوت يستخلصهُ منها: الاول هي نفايات الاجسام الآلية سواء كانت نباتية او حيوانيّة. والثاني هي اصناف ملح النوشادر المعروفة بالاملاح الامونيكية. والثالث هي المركّبات النطرونية (nitrates) الناتجة عن تحولات الازوت الآلي. لكنّ هذه المركبات لا تفيد النبات الّا بعد تحوّلها الى احدى الحالتين الاوليَين اي بعد ان يدخلا في حيّز المعدنيّات

مصدر العناصر الاولية

مستودع الاجسام المعدنيّة انّما هي التربة والبارئ عزّ وجلّ قد بثّ هذه المعادن في الارض على مقتضى سُنن حكمته فنالت بعض البلاد منها كميّة اوفر وبعضها اقلّ. امّا النبات فانّهُ يجتذب اليه هذه المعادن بواسطة جذوره اذا وجدها مهيَّأة لقوام حياته: فانهُ يستخلص من التربة الفسفور والكبريت والسليسيوم بامتصاصه الحوامض الفسفوريّ والكبريتي والسيليسي. ويمتص البوطاسا والصودا من مركّباتهما مع الاكسيجين او الكلور. امّا الحديد والزنك والمغنيسيا فمن المركّبات الاوكسيديّة

وغاية شغل الفلاحة ان تهيئ للنبات حاجتهُ من هذه المعادن لانّ بعض التُرَب مفتقرة اليها او اذا وُجدت فيها لا يستطيع النبات ان يُحيلها الى جوهره. فعلى ارباب الفلاحة ان يسدوا هذا الخلل بما يأتونهُ في الارض من السماد

العناصر الاربعة عشر ومفعولها

اذا عمدتَ الى اناء من الخزف لا تنفذ فيه الموانع وملأتهُ من الزجاج المدقوق او من الرمل المحمى باجيج النار (اي من السيليس الخالص) ثمَّ زرعت في هذه التربة بعد سقيها بماء مقطَّر عشرين حبَّة من القمح ثقلها المتوسط غرام أترى تنال من زريعتك غلَّة ؟

١) راجع مقالة حسنة للعالم الكيماوي دهيرين (Dehérain) في مجلة العلوم السنوية (عدد كانون الثاني ١٨٩٩)

بلا مراء. لكنَّ هذه الغلة تردة لا يُعبأ بها. فان ساق السنبل يكون اشبه بمسلّة يبلغ طولهُ ٢٥ سنتيمترًا. وكذلك طول السنبل لا يتجاوز سنتيمترًا واحدًا وتكون الحبوب فيه قليلة ضئيلة جدًا. ومع كل ذلك تكون الغلّة اوفر من الزرع فتبلغ خمسة غرامات او ستّة. فهذا دليل على انَّ النبات ينال من الهواء والماء غذاء فيأتي بثمرةٍ ما

ثمَّ أضف الى التربة شيئًا من الفحم تجد انَّ الغلة لا تزيد على الغلة السابقة ولكن ان فحصت القمح ترى فيه من ٤٥ قسمًا الى ٥٠ في المئة من الكربون اي الفحم. فكيف يا تُرى دخل الفحم في جوهرهِ مع انَّ الكربون اذا خُلط بتربةٍ ليس لهُ عمل فيها. أفليس ذلك دليلًا على ان السنبل امتصَّ الحامض الكربوني من الجوّ بعد تحول الكربون المجاور لهُ الى هذا الحامض

اجعل الآن في تربة الاناء المعادن العشرة التي ذكرناها المتضمنة في رماد النبات بعد احتراقهِ. وزِن الغلة تجد انَّها زادت فصارت ٨ غرامات. ومع هذه الزيادة لا تزال الغلّة ضعيفة تردة. والنتيجة من هذا الاختبار انَّ النبات يمكنهُ ان يعيش وينمو اذا زُرع في تربة تحتوي على ١٣ عنصرًا بدلًا من ١٤ ولكن ليس نموهُ تامًا موفورًا

امَّا اذا زدتَ عوضًا عن المعادن العشرة السابقة العنصر الآلي الرابع وهو الازوت فللحال يزكو الزرع وينتعش فيرتفع ساقهُ وتمتدّ اوراقهُ وتخضرُّ ألوانهُ وتزيد غلتهُ فتصير تسعة غرامات. فيظهر من ثمَّ صريحًا ان للازوت فعلًا طيّبًا في الحياة النباتيَّة

اختم الآن هذه الاختبارات بان تجمع بين الازوت والمعادن العشرة في تربة الاناء. فترى انَّ القمح ينمو هنالك نموّهُ في اجود التُرب واكثرها غلة. فيكون طول ساق السنبل اكثر من متر وطول السنبلة من خمسة سنتيمترات الى ستَّة. وكلّها ملأى بالحبوب فتأتي الغلة بثلاثين غرامًا على الاقلّ ولعلّها تتجاوز الخمسين

وخلاصة هذه الاختبارات كلها انهُ لا بُدَّ لكلّ أفراد النبات من ١٤ عنصرًا لتمام نشأته واستغلالهِ. ولكن كثيرًا من هذه العناصر يجدها النبات دون مساعدة الانسان فيحصل على الثلاثة العناصر الآليَّة اي الكربون والهيدروجين والاكسيجين من الجوّ. وكذلك لا حاجة للفلاح (ما لم تكن ارضهُ رمليَّة محروقة بالتكليس) ان يهيّئ للتربة الصودا والمغنيسا والكلور والسيليس والحديد والكبريت لانَّ كل تربة طبيعيَّة تحتوي منها ما يكفي للنبات

فيبقى اربعة عناصر يقتضي على الزارع ان يهيئها للنبات واحدٌ منها هو عنصر آليّ وهو الازوت والثلاثة الأخرى معدنيَّة وهي الحامض الفسفوري والبوطاسا والكلس فاذا اهملها الفلاح ضعفت تربتهُ وبارت ارضهُ بعد حين وتلفت

عزاء لجنَّاز العلماء

من تأليف مار اليّا الثالث ابن الحديثي المعروف بابي الحليم

سعى بنشرهِ الاب لويس شيخو اليسوعي

ذكرنا في المشرق (٣ : ٢١٧) ابن الحديثي وتراجمهُ البليغة . ولم نذكر هناك تأليفاً لهُ آخر وهو كتاب الجنازات ضمَّنهُ عدَّة خطب بديعة محلَّاة بالسجع المطبوع تُتلى على الاموات على اختلاف طبقاتهم من جثالقة وكهنة وعلماء ومؤمنين . وهذا المجموع استنسخناه في الموصل عن نسخة هدانا اليها حضرة الاب الفاضل بطرس نصري الكلداني الموصلي فاخترنا منها هذه الخطبة بنسبة وقوع تذكار الموتى في ثاني يوم من تشرين الثاني . ثمَّ اطَّلعنا على نسخة ثانية من هذه الخطبة محفوظة في كتاب قديم اعارنا ايَّاهُ جناب الوجيه الفاضل بشاره افندي يارد . فقابلنا بين النسختين مبالغةً في الضبط وآلفنا بينهما تتمَّة للفائدة ل . ش

الحمد لله الفاخرة نعمتهُ . الغامرة رحمتهُ . الغامضة حكمتهُ . الفائضة عنايتهُ . الظاهرة شفقتهُ . الباهرة عظمتهُ . القادرة عزَّتهُ . القاهرة سطوتهُ . والشكر لله القديم الذي تأخرت عن قدميَّتهِ قدميَّةُ القدماء . العظيم الذي خضعت لعظمتهِ عظمة العظماء . الحكيم الذي حارت في حكمتهِ حكمة الحكماء . العالم الذي عجز عن علمهِ علم العلماء . نحمدهُ معترفين بجميل نعمائهِ . ومعتصمين بجزيل آلائهِ . شاكرين لسرّ نعمهِ . صابرين على ضرّ نقمهِ . ونثني عليهِ حتى تبطل عنَّا حركات اللسان . يومَ تصيدُنا حبائل الاكفان

يا معشر البشر . فجّروا ينابيع العبرات فقد آنَ لها ان تتفجَّر . وشمّروا ذيول الخطيئات فقد أزف لها ان تتشمَّر . الى مَ سيوف الشهوات تحطم رأس افكاركم . وحتى مَ حتوف الزلَّات تهدم أرماس اعماركم . أغمدوا صوارم الخطيئات في أغمدة عمل الحسنات . واعمدوا الى رفع عزائم الجهالات عن أعمدة الميل الى الشهوات . أمطروا صفحات الخدود بامطار العبرات . وكرّروا لحات العقول في وادي الحسرات . وانظروا (١

---

١) ويروى : وتبصَّروا

دارا وُجودها عدمان. ووُجودها (١ حرمان. صحّتها سقم. وفرحتها غم. نورها ظلام. ونارها قتام. شهدها مر. وقندها (٢ صبر. بَردها جمر. ورفدها فقر. حقّها ضلال. وصدقها محال. فيا لها من دار قد سلبت عساكرُ لذاتها افكار الخلائق. ودنيا قد حجبت سائرُ شهواتها أنوار الحدائق. حتى غرقت في لجة الآثام أفهام البريّة. ومزّقت في مُهج الانام سهام الخطيئة. قد اضحى المحال مخدوعاً بها كأنهُ صدقٌ. ورانى الضلال المطيع لها كأنهُ حقّ. ألا رادم في هـذه الورطة لنار الشهوات والارادات. ألا مقدمٌ على الغبطة في دار الخيرات والساعات. ألا مقدمٌ من الهبطة الى المسرات والكرامات

ما للابصار ناظرة وكأنكم لا تبصرون. ما للاسماع سامعة وكأنكم لا تسمعون. ما للاطفال يُسلبون وكأنكم راقدون. ما للشبّان ينهبون (٣ وانتم لا تفطنون. ما للشيوخ يذهبون وكأنكم تخلدون. وكبول الموت (٤ وراء ظهركم وانتم لا تلتفتون. وسيوف القضاء تنصم آثاركم وانتم راقدون ولا تستيقظون. كأن الموت قد سافر عن دياركم. هيهات وعساكرُهُ واقفة في مواضع آثاركم. اين علاماتُ الإشعار بالغيوب يا ذوي الآذان. ام اين تقليمُ اظفار الذنوب يا اولي الاذهان. اين حسرات الندم. على عثرات القدم. اين المسامع المائلة الى الموعظات. ام اين المدامع السائلة على الخطيئات. اين تعاطُر غزارة عبرات الأجفان. لاطفاء حرارة جمرات النيران. الى مَ هذا التماطل والحقّ قد وجب. والى متى هذا التماهل والموت قد قرب. أَلعلّكم تؤملون الفرار من الخطب الملمّ. والقلوب منحوتة من الصخر الاصمّ. حيث يقول المطيع للدار الفاجرة : واحيرتاه. والمضيع للدار الآخرة (٥ : واحسرتاه. والمبيع بالدنيا للآخرة : واقهرتاه. حيث لا تُسمع حجّة المقتدرين. ولا ينفع مال المدّخرين. ولا ينع (٦ مفرّ الهاربين. فيا فرحة الزارعين يوم حصاد الغلات. ويا بهجة الطائعين حيث اذخار الحسنات. ويا حسرة الفاسقين اذا خرق (٧ سنانُ الفضائح. ويا حيرة السارقين اذا نطق لسان الجوارح. ويا مسرّة المتّقين اذا صدق برهان العمل الصالح. يوم يعلم الابرار حقّ مقامهم في دار النعيم. ويفهم الاشرار صدق دوامهم في نار الجحيم. فيا لها وقفةً ما أقلق أحكام صيارها. وما افرق اضطرام جمر نارها. آهاً

---

١) ويروى : ووجودها ٢) يريد سكّر القند ٣) اي يُسرعون الى القبر. النَّهب الركض. او يُنهبون اي تُنهب اعمارهم ٤) اي قيوده جمع كَبْل ولعلّها تصحيف خيول. ٥) ويروى : الفاخرة ٦) ويروى : ينجع ٧) ويُروى : احدق

لساعةٍ ما امرَّ الحسرات في جوارها . وما اضرَّ الزفرات في نارها . وما أحرَّ العبرات في قرارها . وما أحلى مذاق اثمارها . وما اشهى أوراق اشجارها . وما اقرَّ الابصار بشريف ازهارها وانوارها . وما أسرَّ الافكار بلطيف اسرارها . لمثل هذه الساعة فليزرع الزارعون . ولمثل هذه الوقفة فليبذر الجامعون

نبِّهوا الافكار من رقدة الخطيئة . قبل ان ترقد الابصار الرقدة الابديَّة . تجمَّلوا (١ فهذا سبيلكم . وتحمَّلوا (٢ فقد دنا رحيلكم . كأنكم برؤوس أقدامكم وقد لحقت اعقابَ السالفين . وطروس أيامكم وقد التصقت في صحائف الاولين . وكانكم بلحظات الاطراف وقد جمدت . وجمرات الاطراف(٣ وقد بردت . وحركات الاعطاف وقد خمدت . وبالوجوه البهيَّة وقد قتمت . وبالنواظر المضيئة وقد عتمت . وبالاعناق المستقيمة وقد مالت . وبالمحاسن الجميلة وقد استحالت . كانكم بصارم الموت وقد أبرق . وببرق المنون وقد تألق . وبقرب الساعة وقد اقلق . وبجمع الاحباب وقد تفرَّق

وان عققت عندكم الرزايا . او نسيتم حلول المنايا . فانظروا الى هذه الحادثة المفجعة . وتفكَّروا في هذه المصيبة المقمعة . واعتبروا بما حلَّ عندكم من الرزيَّة . الجديدة الزريَّة . وابصروا من شيَّد ورفع . وبدَّد وجمع . وتاه في الدنيا تيه المخلدين . واجتهد فيها اجتهاد المؤبدين . وحرص في تحصيل الدرهم والدينار . وعمَّر ما دثر من المنازل والديار . وماثل في السماء . رتبة الجوزاء . كيف صالت عليه عساكر القضاء . فأصبح بعد العزَّة غزير العزاء . وعهدي بعد ذلك العزِّ المنيف . والمحلِّ الشريف . وهو يتقلَّب بطنًا وظهرًا . ويتحسَّر سرًّا وجهرًا . وينظر الى المال والاموال شزرًا . يبسط يدهُ اليمنى . ويجمع رجلهُ اليسرى . فلا يقلع حرّةً (٤ الَّا وفي اثرها أخرى . حتى اذا أبرق يمانيَّ الحدق (٥ . وأحدق (٦ رديئي الفرق (٧ . واشتدَّت منايا مصائبه . وامتدَّت حنايا حواجبه . وانسدَّت أبواب مطالبه . وانهدَّت اسباب مطالبه . وانقطع رجاء اقاربه . وارتفع حجاب حبائبه . لا يكاد يُردِّد الطَّرف بين الالحاظ والاغماض . الَّا وقد اختلط السواد بالبياض . وظلَّ يتجرَّع أمرَّ الكاسات من امرِّ الحياض

١) اي اصبروا ٢) ويروى : وتكمَّلوا ٣) الأطراف الاولى من الطَّرْف والثانية من الطَّرَف ٤) ويروى : حسرة ٥) ويروى : اشائم القلق ٦) ويروى : احرق ٧) ويروى : العرق

فيا لهُ من حبيب لا يلوي على أحبابهِ . وترب اشغلتهُ المصيبة عن أترابهِ . طريحاً كئيباً حسبُهُ ما بهِ . فواهاً للادغ لا تُرقى (١ الدغتهُ . وراحلٍ لا تُرجى عودتهُ . ووراقدٍ لا تُرى يقظتهُ . قد أيقن بسفرهِ الى الابد . واذعنَ بمفارقة الاخ والولد . فهذه غاية الخلق فاين رأيُ الآملين . وهذه آية الحق فما قول العالمين . وقد انذر في انجيله الصادق كلَّ العالمين . وأعلن قائلاً للسامعين : سيظهر برهان الآخرة يقيناً وتُبصر الدنيا محالاً . وتمير الخراف عيناً وتُقهر الجدي شمالاً . فتكسب طول المدى نكالاً ووبالاً . يوم يميّز الملك بين الصنفين قائلاً للابرار : ادخلوا الدار الالهيَّة المعدَّة لكم قبل وجود الزمان . موعزاً نحو الاشرار أن : احملوا الى الدار الابديَّة المعدَّة لجنود الشيطان . فسبيل العاقل . اللبيب الفاضل . أَلَّا يغترَّ بهذه الدنيا الزائلة . بل يفتكر بالموت وحلول فجعانهِ الهائلة . فهو الغريم الذي لا يُبقي . والمستقرض الذي لا يوفي . والسارق الذي لا يستحي . فكأسهُ مرٌّ . ومنظرهُ فزع لا يبرّ . وهيبتهُ شديدة . وساعتهُ رهيبة . وامرتهُ أكيدة فويل لمن لا يستعدّ لنفسهِ قبل النظر اليهِ . ويستيقظ قبل قدومهِ عليهِ

فنغفر الله لمن سارع الى معالجة دائهِ . من قبل ان يعزّ وجود دوائهِ . وقبل ان يبرد العرق . ويشتدّ القلق . ويميل العنق . وسامح الله لمن اسبل ذيول الحسرات . وأسدل هطول العبرات . على ما صنع من الجهالات . لا على مفارقة الضيف الراحل عنّا . والعضو المنفصل منّا . الاخ الحقيق . والصديق الشفيق . « فلان » اخيكم وحبيبكم (وان كان الذي توفّي كاهناً تقول عنهُ هكذا :) ومقدّس قرابينكم والرافع يديهِ الى الله سبحانهُ سائلاً غفران خطاياكم . (وان كان عامياً تقول :) ومن كان يلوذ بكم . فهو الآن ملقىً امامكم - صامت اللسان عن مناجاتكم . مودّع لكبيركم وصغيركم . وداع من لا يؤمل الاجتماع بكم . وعزيز عليهِ مفارقتكم . يسأل قدسكم ويتضرّع امام محبّتكم . ان تغفروا لهُ ما سلف منهُ لكم . وتجعلوهُ في حلٍّ من كل قلوبكم وخالص نيّاتكم . وتذكروهُ بالرحمة والمغفرة عقيب صلواتكم . فقد كان في حياتهِ يطلب من الله سبحانهُ من اجلكم وهو الآن يغتنم طلباتكم وصالح ادعيتكم

واعلموا انَّ هذه الرزيَّة تجلُّ عن التعزية . ويقلّ دونها بلوغ التسلية . فلنصبرنَّ على

١) اي لا تشفى برقية السحر

حكم الله تعالى ثقةً منّاً بوعدهِ . ولنعوض الاكتساب . بالاحتساب . ولنقابل القضاء . بحسن التسليم والرضى . مع علمنا انّ الله نيّح روحهُ فرحل عن محلّ الشقاء . واستقرّ في دار البقاء . فاصل الدارَ الحِسيّة . وواصل الدار العقليّة . وظعن عن منزل الحسرات . وقطن في محلّ الخيرات . فارق النقطة الكثيفة الترابية . وقارب الدائرة اللطيفة السماويّة . انتقل عن رَبع الندامة . ودخل في حمى الكرامة (١ . وكأني بهِ وقد وجد الراحة الشريفة . واللذّة الطاهرة اللطيفة . في المنازل التي لا عين نظرت بهجاتها لبعدها من الكثائف الارضيّة . ولا اذن سمعت لحن نغماتها في التسبيحات الالهيّة . فسبحان منشئ البريّة . وواهب هذه العطيّة السنية . والموهبة الحسنة الزكيّة . وذلك لما قدّمهُ من الاعمال الفاضلة الرضيّة . فنغفر لهُ ما سلف من خطاياه . واسكنهُ فردوس النعيم مع ابرارهِ واصفياه . واوقفهُ يوم الدينونة عن يمينهِ مع قديسيهِ ونجبائه

وتحقّقوا ايها الاخوة ان الموت محتوم على الصادر والوارد يلحق بكل مولودٍ ووالد . وحكم الله لا يُدافع . وقدرهُ البارّ لا يُمانع . واعلموا أنّنا جميعنا فانون . والى ما صار اليهِ هذا الاخ « فلان » صائرون . والى الحساب والمجازاة ماضون . فلا مالٌ ينفع . ولا ولد يشفع . ولا شفاعة تُقبل عند حلول الموت وتلك الساعة الهائلة . وعدل الله استبان لنا في مساواة كاسِ المرّ . بين الشريف والدني . والضعيف والقوي . والحليم والأمي . فجعلنا

---

١) وقد جاء في النسخة البيروتية ما نصّهُ . « فلا نحزننّ عليهِ كمن لا رجاء لهُ . ولا نبكينّ عليهِ كمن لا يقين بهِ . فذلك يليق بالوثنيين . والقوم الناوين . الذين لا يقرّون بالقيامة والحساب . ولا يرجون بالآخرة نعيماً ولا عقاب . بل نتيقّن حقّ اليقين . ونؤمن ايمان المصدقين . انّ نُقلتنا اذا ما عملنا وصايا ربّنا وسلكنا طاعة سيدنا هي من الارض الى السماء ومن الظلمة الى النور ومن الزوال الى الذي لا يزول ومن الحزن الى الفرح ومن الشقاء الى النعيم والبقاء الذي لم تنظرهُ عين ولم تسمع بهِ اذن ولا خطر على قلب بشر . وذلك امتثالاً لمراسيم ربّنا وثقة بمواعيد خالقنا : ان الذين يعملون بوصاياهُ يرثون الخيرات التي اعدّها لهم في دار النعيم والذين يعصونهُ يخلدون في الظلمة الابديّة والنار السرمدية . بل ينبغي لنا اذا بكينا ان يكون ذلك على ما فرط منّاً من الجرائم لانّ الندب والعويل . والبكاء الطويل لا ينفع المتوفّى البتّة لان سيّدنا لذكرهِ السجود لمّا حضر عند قبر العازر واقامهُ انّما دمع لا غير تعليماً لنا ألّا ندب طويلًا ونكثر عويلًا على موتانا كمن لا رجاء لهم والمتوفى ليس ينفعهُ بعد الممات غير القداسات والصلوات والتذكارات الدائمة . . . »

وهذا الختام لا أثر لهُ في النسخة الموصلية ولعلّهُ زيد على النسخة البيروتية بيد احد نُسّاخ الروم الملكيين . لان فيهِ ما يُشعر بأصلهِ الملكي وقد ضربنا عن رواية قسم منهُ صفحاً لقلّة فائدتهِ

الله وأياكم · ممن اعدَّ طيّب علّته · قبل تاهّب غلّته · واستعدّ للقـاء رمسهِ · قبل شقاء نفسهِ · وتأهّب للشمول بالرحمة · قبـل النزول في الظلمة · واستوجب الخلود في النعمة · قبل حلول النقمة بشفاعة السيدة الطاهرة البتول والدة الرحمة · وام الحيـاة · ذات الطوبى والشفاعات · ومجمع الملائكة والانبيـاء والرسل الابرار · وجميع القديسين والقديسات الاحرار · امين

سياحة حديثة في جبّة بشرّاي

للاب لويس رتزقال اليسوعي (تتمَّة لما سبق)

٢

لله ليلة قضيناها في قلالي دير مار سركيس ما كان اهنأها عقبها صباحٌ استبشرنا من بلجته الخير وبسط النفس · فقمنا عند ابتسام فجر الخميس وسرنا بنشاط الى وادي الارز · فكانت طريقنا في بادئ الامر عسرة صعبةَ المرتقى حتى بلغنا بعد قليل نهجًا سويًّا سلكناهُ فافضى بنا بعد ساعة من الزمن الى الهضاب التي تنتصب فوقها غابة الارز. فشينا مدَّة دون ان نراها بالعيان ونحن على نجوة تعلو الوادي الذي عند منتصفهِ يتبجّس نهر قاديشا ويفور بدويّ عظيم فوقفنا هنيهةً لنُمتّع النظر بالمشاهد التي كانت محدقةً بنا: الكمل وراءنا ومن عن شمالنا · وبازائنـا تنفتق مستو كأنهُ الجدار تضاهي قمّتهُ قمّة ظهر القضيب علوًّا · وعند اقدامنا نبعٌ فوَّار يُسمع لهُ شبه هزيم الرعد ويسيل مزبدًا الى مهواة الأودية المتّصلة بعباب البحر · فذكَّرتنا هذه المناظر وصفًا انيقًا للشاعر الفرنسي لامارتين أطنب فيهِ على هذه الانحاء فأوغل

ثمَّ ما لبثنا ان بلغنا الى غياض الارز وهي لا تظهر كلها معًا لان موقعها كما سبق القول على عدَّة نجوات تختلف في ارتفاعها ولكن ما لاح لنا منهـا لاول وهلة أعجبنا · فراقنا منها لونها الشديد الخضرة وجذوعها المرتفعة وافنانها الممتدَّة على شكل طبقات متفاوتة مخروطة الرأس واثمارها الصنوبريَّة · وفي مقدمتها ارزة كاملة الصورة بهجة المنظر جامعة لمحاسن أخواتها تخيّرتها جريدة الارز الغرَّاء فاتخذتها كشعار تزين بهِ كل اعدادها وقد جُعل لحرج (حرش) الارز سُور يُحدق بهِ من كل جهاتهِ فيصونهُ من الماعز وايدي

العدوان. فما انتهينا الى داخلهِ حتى اخذنا الدهش ولعبت بنا نشوة الحيرة عند مرأى هذه الآكام المظلَّلة بافياء مخلَّدة لم تخترقها منذ اجيال عديدة اشعَّة الشمس. والتربة التي فيها تغوص جذور هذه الاشجار البهيَّة انما هي كلسيَّة لكنَّ النظر لا يكاد يطَّلع عليها لما يعلوها من نفاية الاوراق والاغصان الساقطة هناك منذ غابر الاجيال. والاشجار التي لقيناها في مدخل الحديقة أقرب عهدًا من غيرها لكنَّها ابهى منظرًا واجمل صورة يخال لناظرها انَّها سواري سفن تتخايل عجبًا في الهواء وتمدُّ اغصانها الوارقة كأنَّها الشُرُع تدفعها الريح في عباب البحر

ثمَّ مشينا في وسط هذه الخميلة النَّضرة فوجدناها مَبردةً للبدن بعد ما شعرنا من حرارة الشمس في سيرنا الحثيث. وكنَّا ننتقل من ربوة الى ربوة ونفحص صفًّا بعد صفٍّ ونجد لكلِّ شجرة خواصَّ جديدة. ونحن مع ذلك نستنشق ريَّا الارز العطرة وهي اطيب من رائحة الصنوبر والشوح الجبلي الذي يُعجب بهِ أهل اوربَّا. وقد شبَّه العلامة شُلتز (Schultz) نسيم الارز بنَفْحة البلسم المكّي

وكانت بعض سطور الارز تلوح لنا كعواميد رواقٍ جميل او بَهْوٍ بديع فوقهُ سقف من الاغصان المحتبكة ببعضها جدلتها يد الطبيعة على هيئة فخمة يعجز عن تقليدها ابرع المهندسين

ولم نزل نطوف في جهات الارز حتى بلغنا بُقعةً منفردة موقعها في مُنهبط من الارض على شكل دائرة فهناك ليس بعيدًا عن المعبد الذي شيَّدهُ السعيد الذكر غبطة السيد بولس مسعد ترى أقدم اشجار هذه الغابة عهدًا. فعددها اثنتا عشرة شجرة خمس منها على مقربة من المعبد والسبع الأُخَر على اكمة مجاورة. وبين الخمس الاولى ترى ملك هذه الغيضة وسلطانها. وهي ارزة غاية في الكبر موقعها في منحدر من الارض لا يتركهُ السيَّاح لحرج مكانهِ. ومن يعتبر هذه الارزة عن بُعد خمسين قدمًا لا يستعظمها امَّا اذا اقترب منها وجدها آية من آيات الخليقة فكأنّي بها في وسط اخواتها جبَّار يتبختر بين اقرانهِ وهو اشدُّ منهم صولة واعظم جسمًا. ودائرةُ جذع هذه الارزة نحو ١٥ مترًا. وقد بلغت بها قوَّة حياتها الى ان فرَّعت جذورُها فرعين كبيرين علا ساقهما وتكاثفت اغصانهما فهي بينهما كالسيد الاروع الحلاحل يتباهى بولدَيهِ الكهلين ويسند اليهما رأسهُ المنحسر تحت افنانهما الغضة. ولا غرو ان كبار السيَّاح أعدُّوا هذه

الارزة من بقايا القرون السالفة التي شاهدت عهد سليمان فصبرت مذ ذاك على ملمّات الحدثان ونوائب الزمان

امّا السبع الشجرات التي تنتصب فوق الربوة الحاذية فهي احسن موقعاً والى ظلّها يأوي السيّاح ويضربون تحتها خيامهم. وعلى صفحات جذورها اسماؤهم وتاريخ حجّهم اليها. وممّن قرأنا اسماءهم من المشاهير الشاعر دي لامارتين والكاتب البليغ دي جرامب (de Géramb) والعلامة بُرَوا (Bruat) وهلمّ جرًّا

ومن علوّ هذه الربوة يمتدّ البصر الى مجموع شجر الارز النابت في هذه البقعة وعددها بين كبرى وصغرى لا يربي على ٣٧٠ وكانت الارزات الكبرى قبل عهدنا بثلثمائة سنة ضعف ما هي عليهِ الآن. فان احد السيّاح عدّها سنة ١٥٦٥ فوجدها ٢٥ ارزة وهي لم تزل تقلّ شيئاً فشيئاً مذ ذاك العهد لعدم اكتراث اهل تلك المقاطعة لها سابقاً الى ان تصدّت حكومة لبنان لهذا الخلل في ايّامنا وتداركتهُ ببناء السور لئلا يصيبها ما اصاب اخواتها من التلف

وقد سبق القول انّ التربة الاصلية يعلوها طبقة من نفاية الشجر وورقهِ المتساقط وهذه الطبقة تختلف بين ٥٠ الى ٧٠ سنتيمترًا عمقاً ينبت فيها صغار الارز الّا انها اذا بلغت طول الاصبع او الاصبعين تشقّقت وهلكت وهو امر مقرَّر حتى ان احدث ارزة تُرى في هذا المكان ترتقي الى ما فوق المئتي سنة

امّا سبب ذلك فتضاربت الاقوال في بيانهِ. فمن قائل انّ ظلّ الاشجار الكبرى يحجب عنها الشمس فلا تقوى على النموّ وتتلف وهو رأي لا يخلو من الصواب. ومن قائل انّ بزرها رديّ لانّهُ ينشأ من شجر قديم العهد ضعيف البنية. وهو تعليل لا نرى فيهِ شيئاً من الصحّة لانّ هذا البزر نفسهُ غُرس في غير امكنة فطلع ونما

وعندنا ان لعدم نموّ ارزٍ جديد في المكان تعليلين الاوّل انّ بزر الأرز اذا وقع من الشجر بقي في الطبقة العليا بين نفاية النبات فلا يبلغ الى تربة الارض ليمدّ فيها اصولهُ وينال منها ما يحتاج اليهِ من العناصر المغذية التي لا يجدها في هذه الطبقة الفوقيّة. ولذلك يضعف ويموت

والتعليل الثاني انّ كثيرًا من السيّاح يقدمون الى غابة الارز فيطأُون هذه الاغراس

الصغيرة فتتلف. والنباتيون يعلمون انّ أغراس الارز لا تنمو الّا بعد الاهتمام الكبير فكيف لا تهلك اذا داستها الاقدام

هذا وقد قرأنا في كتب بعض السيّاح الاجانب ما يزري بحقّ الارز ويسومهُ خسفاً. من ذلك ما كتبهُ أحد جوّالة الانكليز ان حمائل بعض اشراف انكلترة لاوفى حسناً واتمّ جمالاً من غابة الارز وقال غيره: انّ اقدم شجرة في الارز لا تضاهي شجرة من اشجار الباوُباب (baobab) او البانيان (banian) التي تزين الغياض الافريقيّة او الهنديّة »

(نقول) انّ هذا الكلام يُشعر بهوى كاتبهِ ولو تروّى لما سطّر ما سطّر. لعمري انّ الذين يقدمون الى الارز لا يقصدون فقط منظر شجر ضخم او غابة جبليّة لانّ غايتهم اسمى من ذلك فانّ الأرز اثر تاريخي ينبئ بمفاخر لبنان القديمة ويروي للخلف مجد سلفائهم. هذا فضلاً عمّا سبق وصفهُ من انّ موقع هذه الغابة بين جبال شاهقة تحدق بها المناظر البهجة

وعلاوة على ذلك انّ للمسيحي سبباً آخر من شأنهِ ان يحملهُ الى زيارة الأرز وهو ذكر هذا الشجر في الاسفار المنزلة فان الله عزّ اسمهُ اطنب في مدحهِ واثنى على لبنان بسببهِ ونسبهُ الى نفسهِ حيث قال في المزامير (٧٩: ١١) عن الكرمة الرمزيّة التي هي اسرائيل: « غطّى ظلّها الجبال واغصانها أرزَ الله ». وشبّه بهِ اولياءهُ الصالحين (مز ٩١: ١٣) ورمز عن الحكمة المقدسة (٢٤: ٢٧). ومن الخواص التي استرسل الكتاب في وصفها بقاء الارز وصبره على الايام دون فساد وهو الخشب الذي فضّلهُ سليمان لابتناء هيكل الرب

وقد شُغفت ايضاً كنيسة الله بأرز لبنان فاوردت مراراً ذكرهُ في صلواتها الطقسيّة. امّا الشرقيون فاستحسنوا ان يشبّهوا بهِ البتول العذراء ويلتمسون حمايتها بتسميتها « ارزة لبنان » (١

أفليست هذه الاسباب كافية للشرقيين عموماً ولاهل الشام خصوصاً بان يتوقّلوا مشارف لبنان ويزوروا هذه الغابة المقدسة ويتشرفوا بمشاهدها

---

١) هذا وان النباتيين وعلماء الطبيعة يجدون هنا اصنافاً من النبات او من صغير الحيوان لا يجدونها الّا نادراً في امكنة أخرى. فمن ذلك انّنا وجدنا كثيراً من نوع الفراش المعروف باسم Argyne Pandora) وهو فراش جميل للغاية يطلبهُ علماء الطبيعة بكل رغبة ولا يقفون عليهِ لندرتهِ

٣

قد اطلنا في وصف الارز فحان لنا ان نعود الى رحلتنا. بعد ان صرفنا بضع ساعات نرتشف في هـذه البقعة كأس الهناء. قمنا فتسرَّحنا من هذا المكان آسفين على فرقتهِ وذهبنا الى بشرّاي حيث كان حضرة الاب اغناطيوس جعجع احد اساتذة كليَّتنا الافاضل في انتظارنا. فتحفَّى بنا وبالغ في اكرامنا ولم يُبالِ بطارئةٍ عرضت لهُ في صباح ذلك النهار فاذاقتهُ ألمًا شديدًا

وبعد الغداء جُلنا في بشرّاي وتبيَّنَّا ما نالتهُ تلك البلدة من سخاء يد الخالق. وهي قرية كثيرة الخصب غزيرة المياه وبيوتها مشرقة مؤنقة منتظمة بعضها فوق بعض تشقُّها جداول الماء الصافي. وفيها الكنائس الواسعة الحسنة. واهلها مشهورون بالتقى والصلاح. وفي لهجتهم ولسانهم مسحةٌ من السريانية وبها كانوا يتكلَّمون قبل مئة سنة هم واهل حصرون والقرى المجاورة

ولمَّا كانت الساعة الثانية بعد الظهر خرجنا من بشرّاي قاصدين اهدن وهي من أعلى قرى لبنان لانَّ علوها يبلغ ١٤٤٥ مترًا. فارتقينا في الجبل حتى وصلنا بعد نصف الساعة الى مشارفهِ فوقع نظرنا على القرية التي نقصدها وما مرَّت علينا ساعة حتى انتهينا اليها. وممَّا كان يستلفت ابصارنا في اثناء الطريق رؤية اهل تلك البلاد لاسيا شبَّانهم فان سحنتهم تختلف عن سحنة غيرهم فترى بشرتهم ناعمة بيضاء وقامتهم طويلة وبنيتهم شديدة لهم اعضاء تجمع بين الصلابة والمرونة وفي وجههم ما يدلُّ على مضاء العزيمة. وكنتُ اسمع كثيرين من رفقتي يهتفون اذا رأوهم: « ما احسن هيئة هؤلاء القوم ألا ترونهم من سلالة اوربيَّة قديمة وردت هذه البلاد فتوطَّنتها وتناسلت فيها الى عهدنا ». وكان يزيدنا عجبًا منهم لبسهم الانيق فان قلنسوتهم لبَادة بيضاء ورداءهم عباء ذو لون احمر قانئ مخطَّط بالوان ونقوش شتى يبتاعونها من معامل طرابلس ويتسرولون بالسراويل الضيقة يجعلون سوقها في مَسامٍ (طاقات) متينة تنتهي بانعال محدَّدة الرؤوس كثيرة المسامير وهذه الثياب يلبسها أحداثهم فتزيدهم حسنًا

وتركنا على يميننا ديرًا عامرًا لم يتسنَّ لنا ان نزورهُ وهو دير مار سركيس وفي ارضهِ تنبع عين غزيرة المياه طيبتها تجري منها الى اهدن وعندها يجتمع اهل الضيعة في ايام الفراغ لترويح النَّفس

وفي اهدن بعض آثار تستحق الذكر ما لم يتسنَّ لنا ان نزورها . وهذه البلدة تفوق على كلّ قرى لبنان بحسن موقعها وطيب هوائها وكثرة مناظرها . فان في جوارها مكاناً يشرف على كل الانحاء المجاورة ويمتد منهُ البصر الى طرابلس وجون عكّار فيكشف على مرأى فتّان. فتعجّبنا كيف لا يتقاطر الى اهدن اهل السواحل في ايّام القيظ لينالوا فيها حظًّا موفورًا من الهناء .

وكانت زيارتنا الاولى عند وصولنا الى اهدن لكنيسة القرية وهي بناية كبيرة متسعة الجوانب كثيرة الانوار في وسطها صفّان من الدعائم يقسمان البيعة ثلاثة اقسام وسقفها مرتفع فوقهُ سطح رحب . وصحن الكنيسة مفروش بالرخام الابيض . وهيكلها محكم الصنعة بديع الترصيع . ولو نُقشت جدرانها ببعض التصاوير لأصبحت طُرفةً من غرائب لبنان

وفي مَوفِه (سكرستيًّا) الكنيسة رجل شهير يعتبرهُ اهل لبنان كبطلهم الصنديد وفخر وطنهم ألا وهو الطيّب الذكر يوسف بك كرم الذي نُقلت جثّتهُ بعد وفاته في ايطالية الى مسقط رأسه . لكنَّ العجب اخذ منّا مأخذهُ اذ رأينا بقاياهُ المكرَّمة في زاوية لا شيء يدلّ على شرف صاحبها فانَّ الجسم مودعٌ في تابوت تعلوهُ الغبرة . واذا نُزع غطاء التابوت تجد لوحًا من الزجاج المشوَّه بالغبار تحتهُ جسم هذا الرجل الجليل القدر . وهو محنَّط يظهر منهُ وجههُ ورأسهُ ترى جلدها متقلّصًا ضاربًا الى السمرة شأن الاجسام المحنّطة . والبك لابس ثياب شيوخ الجبل الفاخرة . ويدهُ اليسرى مكشوفة فيها بعض اللدونة لما يُذَرّ عليها من الذَّرور . ومع كل ذلك قد ينبعث من الجثّة من حين الى آخر رائحة تدلُّ على انَّ الفساد لاحق بها . وسبب ذلك انَّ الهواء ينفذ الى داخلها من جوانب لوح الزجاج . وكان الأولى ان يُثبَّت الزجاج ويُسدَّ سدًّا محكمًا بالغراء والملاط . وعلى كل حال لا بُدَّ ان تُحفَّ هذه الجنازة ببعض الكرامة والأبَّهة ليعرف الزوَّار قدر هذا الرجل الشريف (١

وعند خروجنا من الكنيسة رأينا الفعلة يشتغلون ببناء قبّة جميلة للجرس تناسب الكنيسة حسنًا وجمالًا . وبقرب الكنيسة دير حضرات الآباء اللعازريين الذي كان يسكن فيه آباء رهبانيّتنا في القرن الماضي . فاحببنا زيارة هذا الدير وسلّمنا على حضرة

١) ولعلَّ الجثّة وُضعت هناك موقّتًا ريثما تُنقل الى كنيسة مار بطرس بعد انتهاء بنائها فتُجعل بمقامٍ اهلٍ بها

الاب شنيارا المرسل الغيور الذي كان قدم اهدن ليقيم رياضة روحيَّة لكهنة هذه الجهات

ثمَّ تحفَّزنا للرحيل لندرك دير قزحيا قبـل الغروب. وآثرنا الطريق المطروقة المارَّة بكفر زغوب على طريق عين طورين لان هذه مع قصرها كثيرة الوعورة لا تسلكها الخيل فوصلنا بعد ساعة الى رأس الوادي الذي في مهبطهِ دير قزحيا. فظهر لنا من ذلك المشرف منظرٌ عجيب يروق الابصار بمحاسنهِ الطبيعيَّـة فكنَّا نرى الغابات المتكاثفة والاشجار الفنواء ومحابس السيَّاح تزين اعاليها الصلبان وفي الاسفل ابنية الدير ولواحقهُ العديدة

فما كدنا ان نتجاوز عتبة الباب حتى اقبل الينا رئيس المقاطعـة مع رئيس الدير فرحَّبوا بنا ترحاب الاخوان باخوانهم ثمَّ اسرعنا الى زيارة الدير قبل ان يُرخي علينـا الليل رواقهُ. ومن محاسن هذا المسكن الشهير كنيستهُ وهي متَّسعة المساحة جميلة المنظر مبنيَّة في كهف صخر كبير كأنَّهُ رواق فوقها

وخزانة هذه الكنيسة غنيَّة بآنية التقديس والآثار التقويَّة. منها عكَّاز من الخشب الثمين المرصَّع بالاصداف البديعة. قيل لنا انَّها هديَّة اهداها القديس لويس التاسع الى الموارنة لمَّا قدم بلاد الشام ويا حبَّذا لو امكن الرهبان ان يؤيدوا هذا التقليد بشهادة كتابيَّة فتصبح هذه العصا الرعائية اثرًا مأثورًا بل ذخيرة غالية في القدر

ومنها ايضًا شعاع غريب الصنعة جامع لضروب المحاسن اهدتهُ الامبراطورة اوجيني عقيلة نابوليون الثالث. وكذلك بدلتـان من ابدع شغل المعامل الاوربيَّة اهداها تاطُّفًا بتقدمتها لهذا الدير السعيد الذكر البابا غريغوريوس السادس عشر

ثم زرنا بعد ذلك المغارة التي أُفردت في هذا الدير لمعالجة المرضى المصابين باختلال الشعور. وموقعها على شمال مدخل الدير. فوجدنا فيهـا شابًّا مسَّهُ الجنون يسعى الرهبان بشفائهِ وهم ابرأُوا قبلهُ ثلاثة اخوتهِ وكانوا مصابين بدائهِ فعادوا الى بيتهم بتمام الصحَّة. وفي هذه السنة قد اتاهم عدد غفير من المجانين من كل الطوائف والملل حتى من اهل البدو والمتاولة. وقد أكَّد لنا الناظر القائم على نظارتهم ان كثيرين منهم نالوا الشفاء. والرهبان يعزون ذلك الى شفاعة القديس انطونيوس الكبير ولديهم على ما افادونا عصاة ابي الرهبان يؤدبون بها المجانين في اوقات معلومة وهؤُلاء المساكين مقيَّدون بسلاسل مشدودة بجزر من الحديد لا يمكن قطعها. واذا خفَّ عنهم الجنون وضعوهم في قلاليَ مخصوصة وعالجوهم بضروب العلاجات المفيدة

وفي هذا الدير المطبعة التي ورد وصفها في المشرق (٣: ٢٥١) فلا حاجة الى ذكرها لاسيا ان قصر وقتنا حال دون زيارتها وتفقُّد خزانة كتب الدير

ولمّا تمَّ طوافنا في كل انحاء هـذا المقام المقدَّس دعانا الرئيس الى مأدبة شائقة توفَّرت فيها اسباب الهناء. وتعدَّدت شارات اللطف والايناس من قِبَل من شرَّفونا بدعوتهم

وفي صباح اليوم الثاني الموافق للجمعة الواقع في ٢٧ تموز اقرأنا الوداع سكَّانَ قزحيا الافاضل وشكرنا لطفهم ثمَّ أهرعنا مسرعين لنبيت في مساء ذلك النهار في البترون . وبين قزحيَّا والبترون ثماني ساعات للسائر المُجِدّ. امَّا الطريق فكانت تختلف علينا فنهبط نوبةً الى قعر الوديان ونترقل نوبةً الى قُنن الجبال

ومن القرى التي اجتزناها سرعل وطن حضرة رئيس الرهبان الموارنة البلديين. وهي مشرفة على وادي قاديشا وهناك عقبة يُضرب في وعورتها المثل وكان الحرّ في ذلك اليوم لافحًا فاشتدَّت علينا حمارَّتهُ وابتُلينا بلهواتهِ خصوصًا لمَّا قطعنا ارضًا كلها من الحوَّارى البيضاء كانت تنعكس منها الى وجوهنا اشعَّةُ الشمس

ولمَّا كان الظهر حططنا عصا الترحال في ضيعة حقيرة على ربوة صهرتها الشمس تُدعى دير بعشتار فانتظرنا فيها ريثما تمرّ علينا الهاجرة وتتلطَّف الحرارة قليلًا

ولمَّا ازف وقت الرحيل انحدرنا الى منهبط وادي نهر الجوز من جهتهِ الشمالية في سكَّة كلسيَّة التربة غاية في الوعورة . وفي اسفل هذا الوادي قلعة حصينة من بناء الصليبيين في القرون المتوسّطة تعرف بقلعة المُسيلحة ورد ذكرها في المشرق (٣: ٤٥٣) وهي عند مضيق بقرب الطريق التي تسير بين البترون وطرابلس ليس بعيدًا عن البحر. ثم سرنا مدَّةً بين مزارع وبساتط يغلب عليها اشجار التوت والتين فوصلنا نحو الساعة السادسة مساء الى البترون وركنَّا هناك الى الراحة بعد ان نالنا من العناء والنَّصب في طريقنا ما نال

وفي الغد رجعنا الى نهر الكلب راكبين العجلات كما فعلنا عند ذهابنا واتممنا هذه الرحلة بالسلامة شاكرين المولى على ما اسبغ علينا فيها من النِّعم

علم النجوم على عهد الخلفاء

للاب موريس كولنجت مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي (تابع لما سبق)

الاسطرلاب وآلات العرب الرصدية

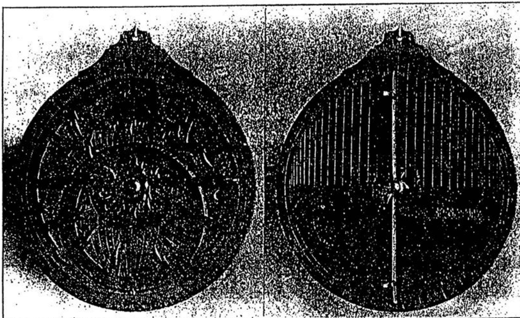
انّ وصفنا السابق للاسطرلاب شاهدٌ لامع على حذق العرب في تجهيز آلاتهم الرصدية. وقد اخذنا العجب لمّا فحصنا حديثًا بعض هذه الآثار المصونة في متحفي باريس والاستانة فوجدنا ان الصنّاع الشرقيين اجادوا كلّ الاجادة في عمل ضروب الاسطرلابات وتخطيط اقسامها ورقم اسفارها وتدوين اشاراتها بالحروف الكوفية الأنيقة. مثال ذلك اسطرلاب رسمنا هنا صفحتيهِ ارسلهُ من بيروت الكنت دي برتوي الى مرصد باريس تاريخ صُنعهِ سنة ٧٢٥ للهجرة (١

الّا انّ الاسطرلاب مع ما فيهِ من الاتقان لم يكن كامل الضبط تامّ الاهبّة وذلك لانّ العلماء لم يكتشفوا في عهدهم الآلات القياسية الشائعة اليوم كالآلات التي تُعرف بها التقاسيم الدقيقة وتدوينها (verniers) خصوصاً على الآلات الصغيرة الحجم كالاسطرلاب

فلسدّ هذا الخلل سعى فلكيّو العرب بوضع آلات أُخَر ضخمة ثابتة كانوا يجعلونها في امكنة معلومة وهذه الادوات الرصديّة لكبر حجمها كانت تحتوي على التقاسيم الدرجات والدقائق. وقد رُقمت على بعضها الثواني ايضاً. فمن ذلك ان ابن يونس الفلكي لمّا وصف مرصد نيسابور ذكر لهُ آلة كبيرة من ذوات الحلَق وكذلك اشار الى ربع دائرة قاس بهِ صاحب ذلك المرصد انحراف منطقة البروج كان يبلغ سهمهُ سبعة امتار. وروى ايضاً ابن يونس انّ ابا محمد الخجندي كان يرصد في زمانهِ بآلة سدس اخترعهُ ودعاهُ الفخري باسم الامير فخر الدولة من بني بويه المالك في عهدهِ. وكان سهم ذلك السدس عشرين مترًا رقم فيهِ الدقائق والثواني وكان يستعملهُ في مرصد مراغة

---

١) على وجه الاسطرلاب في دائرتهِ قد رُسِمَت الدرجات خمساً خمساً وفي وسطهِ منطقة البروج مع اسمائها ثمّ عدّة اسماء للكواكب والنجوم كالقائد والعيّوق ومرزم ورجل الجوزاء والكفّ الجذماء وقاعدة الباطية وفلك الاسد واصل ذنب قيطس وعين الثور. وفيها ايضاً خطوط المقنطرات والساعات واطول ساعات نهار هذا الاسطرلاب ١٣ ٥٠ وعرضهُ ٢٩ وهو عرض مصر. امّا الظهر فهو يحتوي على خطوط الجيوب واسم الصانع كما يلي « صنعهُ عليّ بن ابراهيم بن محمّد بن ابراهيم سنة ستّ وعشرين وسبعمئة »



صورة صَفحتي اسطرلاب قديم ارسلهُ الكنت دي پرتوي من بيروت الى مرصد باريس

وكل قسم من هذه الاقسام درجة ونقسم الدرجات التي نظن انها غاية الميل بستين قسماً . فمعلوم ان كلّ قسم من هذه الاقسام دقيقة ونقسم كل دقيقة بعشرة اقسام ليكون كل قسم من هذه الاقسام للعشرة محتويًا على ست ثواني . فاذا بلغت الشمس فلك نصف النهار القت شعاعها من تلك الثقبة على حوالي خط نصف النهار ولان امتداد شعاع الشمس من الشمس على هيئة مخروط يكون ما القت من الشعاع على الارض اعظم مقدارًا من مقدار الثقبة فلذلك ينبغي ان تهيأ آلة اخرى لتحقيق ذلك. وهذه الآلة هي دائرة مساوية لمقدار الشعاع الواقع على الارض ويعمل فيها قطران متقاطعان على زوايا قائمة . فاذا قربت الشمس من خط نصف النهار اطبقت هذه الدائرة على شعاعها الواقعة على الارض وحركت بحركة الشمس رويدًا رويدًا حتى يقع مركزها على خطّ نصف النهار فيتحقق بذلك موضع وسط الشعاع من فلك نصف النهار ويعرف من ذلك ارتفاع الشمس في نصف النهار فان من الموضع الذي وافاه مركز هذه الدائرة الى مسقط حجر الثقبة هو تمام الارتفاع والله اعلم »

فترى من هذه الاوصاف ان العرب كانوا يستعملون آلات تشبه الآلات الحائطيّة (mural) التي يتخذها الفلكيون في عهدنا

وكان للعرب ما عدا هذه هذه الآلات المجهزة بالعضادة عددٌ كبير من ذوات الظلّ

واشهر هذه الآلات الالواح او الساعات الشمسية المعروفة بالمزاول (cadrans solaires) التي لا تزال شائعة الى يومنا هذا لمعرفة الزمن الحقيقي . ومبدأها الذي يستند اليه فيها ان يُتخذ قائم او جُزء من الحديد يجوز ان يُضاف اليه طارة مثقوبة . ولا بأس ان يُجعل القائم المذكور على سطح افقي او موازٍ لخط الاستواء او على سطح عمودي او منحرف. وانّما يشترط ان يكون في سطح نصف دائرة النهار على سواء خط القطبين. فالقائم المذكور يرمي بظلّه على اللوح وتُعرف في كل وقت ساعة الزمن الحقيقي . وتقسيم الآلة امر سهل

وقد اصطنع ارباب النجوم من العرب مزاول عديدة على هيئات شتى . فانّهم لم يكتفوا بان يجعلوها على سطوح افقيّة وتعديليّة وعموديّة وانحرافية بل اتخذوا مساحات أُخر كما ترى في مزاولهم التي دعوها حسب هيئاتها « الحافر » و « والحلزون » و« الاسطوانة »و« المخروط »و« نصف الكرة »و« ساق الجرادة »و« الميزان الفزاريّة » وكانت على هيئة متوازي السطوح . وكان اصطناع هذه المزاول يقتضي حذقًا كبيرًا لما كانوا يرسمون عليها من النقوش والتعريفات المفيدة . ولذلك وضع العرب تآليف عديدة في وصف هذه المقاييس وفوائدها . وقد اشتهر بين هذه المصنّفات كتاب ابي الحسن علي المراكشي ذكر فيه اصناف المزاول ومنافعها . وقد عدد للميزان الفزاريّة وحدها خمسين

فائدة اوضحها في خمسين فصلاً وهذا لعمري دليل ساطع على عظم شأن هذه الآلات الظلّية

واعلم ان بعض هذه الادوات كانت ابنية ثابتة لا يمكن نقلها وكان بعضها يُنقل من موضع الى آخر. ومنها ما كان يُجهز لعرض بلدٍ معلوم وغيرها تُصطنع لاي عرض كان يتخذونها لاسفارهم برًّا وبحرًا ويستعينون بها لتعيين القبلة ومعرفة اوقات الصلاة والمناسك الدينية

وكانت هذه المقاييس والآلات الرصدية الكبرى تستلزم رسم خطّ نصف النهار. والعرب يُجرون هذا التخطيط على انواع شتى اشهرها طريقة الدائرة الهندية. فكانوا يعمدون الى سطح من الارض متساوٍ فيخطّون عليه دائرة يركزون في وسطها مقياسًا رأسهُ ارفع من وسطهِ يكون طولهُ كربع الدائرة ولا بدّ ان يكون هذا المقياس عموديًا متساويًا. ثمَّ يلحظون ظلّهُ عند دخوله في وسط الدائرة وعند خروجهِ منها ويقسمون القوس بخطّ يقطع زاوية هاتين النقطتين الى قسمين من الشمال الى المركز فذاك الخط هو خطّ نصف النهار. ثمَّ يخطّون خطًا آخر من نقطة دخول الظلّ الى نقطة خروجهِ فذاك هو خط الشرق والغرب. وهكذا كانوا يدلّون على الجهات الاربع (١. وهذه الطريقة يتخذها العلماء الى يومنا هذا لمعرفة خط نصف النهار اذا لم يمكنهم او لم يشاءوا ان يلتجئوا الى نجم القطب الشمالي

هذا ثمَّ لقياس الزمان في العلوم الفلكية شأن كبير فترى باي طريقة كان العرب يدلون على الزمان وتقاسيمهِ ؟

اعلم انهُ لامرٌ ثابت أكيد ان العرب اتخذوا لقياس الزمان آلات عديدة يدعونها بنكامات منها مائية ومنها رمليّة ومنها ما كان يتحرّك بالاثقال. وممَّا افادنا التاريخ عن الخليفة هارون الرشيد أنهُ ارسل الى كرلوس الكبير ملك فرنسة ساعة يدلُّ فيها اثنا عشر فارساً على تقاسيم النهار الاثني عشر بان يخرج واحدٌ منهم في كل ساعة ويرمي على صنجٍ كرةً يُسمَع لوقوعها دويّ عظيم. ولابن جبير في رحلتهِ وصف ساعةٍ وجدها في دمشق على باب جيرون (٢ ويدعوها المنقانة قال :

---

١) راجع Mémoire de l'Acad. des Inscript. et Belles-Lettres I, 98

٢) راجع مجاني الادب (٤:٢٢٨)

« وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي امامهُ شبه غرفة جوّا هيئة طاق كبير مستدير فيهِ طيقان من صفر وقد فتحت ابوابًا صغارا على عدد ساعات النهار ودُبّرت تدابير هندسيَّة. فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من في بازيين من صفر قائمين على طاستين من صفر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدّان اعناقهما بالصنجتين الى الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيَّلهُ الاوهام سحرًا. فعند وقوعهما يُسمع لهما دوي فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى الغرفة وينغلق بابُ تلك الساعة بلوحٍ صُفرٍ. فلا يزال كذلك حتَّى تنقضي الساعات فتنغلق الابواب كلها. ثم تعود الى حالاتها الاول ولها بالليل تدبير آخر. وذلك ان في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرَّمة في كلّ دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور بهِ الماء على ترتيب مقدار الساعة. فاذا انقضت عمَّ الزجاجة ضوءُ المصباح وافاض على الدائرة شعاعًا فلاحت دائرة محمرَّة ثمَّ ينتقل الى الاخرى حتَّى تنقضي ساعات الليل. وقد وُكّل بها من يدبّر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصنج الى موضعهِ وهي التي تسمَّى الميقاتة »

فهذه الساعات كما ترى كانت تدل على حذق اصحابها ويستدلون بها على اقسام الزمان. ولكن لا اظن انها كانت تقوم وتقتدر مقام ساعاتنا الفلكية الَّا انَّ ابا الحسن عليًّا المراكشي وصف في تأليفهِ آلة جيبيَّة وهي ربع من الدائرة كانوا يعرفون بها الزمن الحقيقي ليلًا ونهارًا برصد ارتفاع الشمس او احد الكواكب التي ثبت لهم معرفة مَيْلهِ وصعوده المستقيم واصطناع تلك الآلة مبنيّ على مسألة يُبحث عنها في علم الانساب

ولا حاجة الى القول ان المزاول كلها كانت تدلّ على الزمن الحقيقيّ في النهار بظلّ قائم

هذه لمحة موجزة اختصرناها عن آلات العرب الرصديَّة وهي كافية ليستدلّ بها القرّاء ما كان لمصطنعيها من علوّ الهمة ودقّة الفكر. فيبقى علينا ان نختم مقالتنا بفصل آخر نبيّن فيهِ ان شاء الله النتائج العلمية التي نالوها بهذه الادوات العجيبة (١

(ستأتي البقية)

١) انَّ العلّامة سيديلو (Sédillot) استحقّ ثناء المستشرقين بما نشرهُ من التآليف في بيان فضل العرب في علم النجوم. الَّا انَّهُ قد اخطأ في امور كثيرة فلا بدَّ للقارئ اللبيب من ان يعمل عامل الفكر والتمييز قبل ان يسلّم بصحَّة اقوالهِ

آراء الادباء

في باء المضارعة العاميّة

نظرٌ للاب هنري لامنس اليسوعي

طلبنا من قرائنا الكرام ان يبدوا رأيهم في الباء التي يُدخلها العامّة على المضارعة فاجابنا كثيرون باجوبة من شأنها ان تظهر للعلماء الاجانب ان الشرقيين يحسنون الخوض في مضمار المباحث اللغويّة ويجارون الغربيين في فكّ المعضلات

وما كنّا نحن لنعود الى هذه المسئلة فنبتّ فيها حكمًا فصلًا لولا كتاب حديث جليل الفائدة وضعهُ في هذا الصدد احد كبار المستشرقين الالمانيين الدكتور جرج كمفماير (١. والحق يقال ان مصنّف هذا الكتاب لم يألُ جهدًا في التنقيب عن باء المضارعة وعن المباحث اللغويّة المنوطة بها. واليهِ استندنا في الملاحظات الآتية التي ندوّنها لفائدة الجمهور فنقول:

لا يمكن الوقوف على اصل باء المضارعة عند العامّة الّا اذا عرفنا اولًا موقعها الجغرافي اعني البلاد التي شاعت فيها هذه الباء العاميّة ولم تزل. فانّ حلّ المشكل متوقف على هذه المعرفة

دخول الباء على المضارع في لهجة العامّة لواسع النطاق جدًا فترى استعمالها شائعًا في كل انحاء الشام شمالًا وجنوبًا ثمّ في مصر السفلى وفي الصعيد. وكذلك يستعملها اهل السودان المصريّ وقبائل بورنو العربيّة واهل اليمن. امّا بقيّة جزيرة العرب فالامر لا يزال مبهمًا لم يتحققهُ العلماء. (٢ والارجح انّ اهل ما بين النهرين يجهلون استعمال هذه الباء العاميّة

فمّا سبق يظهر ان استعمال هذه الباء منتشر في بلاد واسعة. بل ينتج عن سعة امتدادها انّ اصلها يرتقي الى شعب او قبائل كانت في غابر الزمان تسكن في مكان

١) واسم الكتاب في اصلهِ الالماني Die arabische Verbalpartikel b (m), *Marburg*, 1900, SS. 54

٢) راجع الافادات التي جمعها في هذا المعنى الدكتور كمفماير في كتابه ص ٣٠ و ٣١

واحد مجتمعة الكلمة ثمَّ انشقَّت عصاهم فتبدّدوا في انحاء شتّى فنقلوا خواصّ لغتهم الى حيث بلغ ملكهم

ورأيُ الدكتور كمفماير انَّ هذه القبائل هي القبائل اليمنيَّة فانَّ التاريخ يفيدنا انها امتدَّت في اكثر البلاد التي شاع فيها استعمال هذه الباء العاميَّة (١

ولكن إن صحَّ أنَّ اصل هذه الباء من اليمن أتُرى يبيّن ذلك اشتقاقها ومعناها. كلَّا وانَّما هذا دليل يمكن الاستدلال بهِ على القول الصواب وينكّب عن الآراء الضعيفة السَّنَد. وهاك مثلًا يظهر لك صحَّة قولنا: ان بعضًا من مكاتبينا زعموا انَّ الباء العاميَّة منحوتة عن « بدّي » ولكن هذه اللفظة دارجة في لغة اهل الشام فقط (٢ فكيف شاع اذن استعمال باء المضارعة في بلاد لا يعرف اهلُها كلمة « بدّي ». فيتحتَّم البحث عن اصلٍ آخر لهذه البـاء.

ولكن هلمَّ نفحص آراء مُكاتبينا الافاضل في اصل هذه الباء ثمَّ نضيف اليها ما يلوح للمستشرقين الاوربيين من هذا القبيل لعلَّنا نتوفق بذلك الى جادَّة الصواب

والرأي الاوَّل الذي ارتآهُ البعض في اصل الباء العاميَّة انها كحرف جرّ قُدّم على الفعل. وهو رأي سبيتا بك (Spitta - bey) في كتاب لهُ عن لغة مصر العاميَّة طُبع في ليبسيك (ص٢٠٣) يوافقهُ رأي من زعم انَّ الباء هنا « للقسم توكيدًا » وكلاهما رأي ضعيف يردُّهُ الانتقاد لما فيـهِ من التكلُّف الظاهر (راجع ما كتبهُ الاب انستاس الكرملي في المشرق ٣: ٤١٥). لاسيَّما انَّ مثل هذه الحروف لا تدخل عادةً على الفعل

الرأي الثاني ذكرهُ الاب انستاس على طريقة الحدس (المشرق ٣: ٤١٧) هو انَّ الباء كانت متصلة بلفظةٍ بمعنى « وقت او آن » كما يقول اهـل بغداد « قِيَكْتُب » او « قَيْيَكْتُب » بمعنى « بهذا الوقت يكتب ». ولكن ما هو هذا الاسم او الظرف الذي بقي منهُ حرف الباء او أُبدل احد حروفهِ بالباء. ذلك امرٌ صعبٌ حاول حضرتهُ فكَّ

١) راجع كتاب الدكتور كمفماير ص ٣٢ ومجلَّة المشرق ٢: ٦٨٧ و ٦٨٩

٢) راجع كتاب المعلم الفاضل يوسف حرفوش المعنون (Drogman arabe, p.46). وفي هذه النسبة يحسن بنا ان نذكر ما اثنى بهِ على مؤلف هذا الكتاب العلماء الاوربيُّون. فان الدكتور كمفماير يدعوهُ: « رجلًا محققًا مدققًا واقفًا على اسرار اللغة العاميَّة »

مشكلهِ دون ان يقنعنا بالتمام (١ . لا سيّما ان جهل اهل العراق وما بين النهرين يجهلون استعمال هذه الباء فلم تبقَ في لسانهم أثرًا

وقد سعى كثير من العلما ان يعللوا باء المضارعة باشتقاقها من « عمَّال » وهو رأي الاستاذ الفاضل الدكتور فُلِرس (Vollers) في احدى المجلات . WZKM) 1892, p 171) قال انَّ « عمَّال » اختُصرت اولًا بقولهم « عم » ثمَّ بحرف الميم . ثمَّ قلبت الميم باء . وهذا القول لا ينافي قواعد علم الاشتقاق ألَّا انهُ بعيدٌ لا نظنُّهُ يطابق لواقع الحال . والارجح انَّ « الباء » و « عمَّال » لفظتان جاريتان على لسان القوم دون علاقة بينهما

وقال غيرهُ وهو رأي الفاضلين الاب خليل اده وكنشليار دولة ايطاليا الجليل يوسف كرولّا (راجع المشرق ٣ : ٣٧٧) انَّ هذه الباء ليست مشتقّة من « عمَّال » لكن هي حرف البــاء اللاحق بهذه الكلمة في قولهم « عمَّال باكتب » بدلًا من « انا عامل بالكتابة » وعلى هذا الرأي أُهملت « عمَّال » فبقيت البــاء . ولنا على هذا القول اعتراضٌ وهو انَّ باء الجرّ لا تعمل في الفعــل بل في الاسم فقط . فليست هي اذن باء الجرّ (٢ . كما انها ليست باء التوكيد كما ارتأى الاديب جرجي افندي عطيّة (المشرق

---

١) وقد عاد الاب انستــاس الى رأيهِ هذا في كتاب ارسلهُ الينا قال فيهِ : « انَّ الظرف الذي نقلت منهُ الباء هو لفظة « آن » فقــالوا في مثل « الآن اكتب والآن اروح » « آن أكتب وآن أروح » ثمَّ « نَ كتُب ونَ رُوح » ولكي تُميَّز هذه اللفظة من جميع المتكلمين ابدلوا النون بالميم لمقاربتهما في اللفظ وقــالوا : « مَ كتُب » وقد قيل انَّ الدماشقة يقولون ذلك الى يومنا هذا غير انهم يسكنون الاول كما هو مألوف عادتهم فيقولون « مْكتُب » . ثمَّ ابدل البعض الميم بالباء فقالوا في ذلك « بَكتُب وبروح » وابدال الميم بالباء كثير في العربيّة لمقاربة مخرجيهما . . . »

٢) قال حضرة الاب انستاس في كتابٍ تاريخهُ منتصف آب : « طالمتُ في المشرق (٣ : ٣٧٧) الرأي القائل : « ان الباء متعلقة بمحذوف كثيرًا ما يظهر وهو « عمَّال » فيقولون : « عمَّال باكتب » اي انا عامل بالكتابة . فنقول : ان نقل لفظة « عامل » الى « عمَّال » من الممكن . لكن ان كان هذا هو متعلّق المحذوف فمن الواجب ان يُقال مثلًا عوضًا « با كتب » « بالكتابة » وان قلت مثلًا ليست اللفظة المقدَّرة او المحذوفة هي « عامل » او « عمَّال » بل هي فعل بمعناها : اي : « أعمل بأن اكتب » قلنا : لقد ذهب المقصود من المعنى لان لفظة الكتابة مثلًا من ذاتها تدل على هذا العمل فاي حاجة بعدئذٍ في تكثير الالفاظ على ما لا طائل تحتها . وبالاخص

٤١٨:٣) على مثال قولهم « بحسبك درهم » اي حسبُك لانَّ بين الجملتين بوناً عظيماً . وذلك انَّ « حسب » اسم فعل ليس لهُ خواصّ الفعل من الاقتران باحد الازمنة . والباء في دخولها على المضارع تخصُّهُ بالزمان

ولا نظنُّ انَّ احد العلماء يوافق جناب الكاتب المذكور بقولهِ « انهُ يمكن ان نعتبر هذه الباء مزيدةً على انَّ المصدريَّة . . فيكون على ذلك الاصل في « بيقول » « بان يقول » . ولا بقولهِ « انَّ هذه الباء مقتطعة من « بذا » حرف جرّ واسم اشارة » . لانَّ كلَّ ذلك تخمين لا يظهر سندهُ

وتزيد على هذه الاراء رأياً جديداً عرضهُ علينا حضرة القس الفاضل جرجس منش الحلبي في مقالةٍ حسنة لم يسمح لنا ضيق المكان باثباتها (١ وهو انَّ الباء مقلوبة عن حروف المضارعة « أَنيتُ » . لكنَّنا لا نفهم كيف أبدلت هذه الباء من حروف المضارعة وهي تدخل عليها فيقولون « بأقتل » او بحذف الهمزة « بَقْتُل » ثمَّ يقولون : « بتُقتَل يُقتَل بْنُقتَل » مع ثبوت حروف المضارعة

ومن الآراء المنبوذة رأي الدكتور ڤرْمُند (Wahrmund) الذي زعم انَّ هذه الباء اصلها من الفارسيَّة (٢ . الَّا انَّ الدكتور كَيغْنِر (ص ١٧) ابطل زعمهُ هذا وبيَّن لهُ انَّ هذه الباء من خواصّ العربيَّة الدارجة بين العامَّة لا علاقة لها مع الفارسيَّة . والدليل على ذلك انَّ القبائل المجاورة لبلاد العجم في العراق وما بين النهرين لا تعرف هذه الباء .

امَّا الرأي الاخير الذي يرجحهُ كثيرون من العلماء فهو انَّ هذه الباء منحوتة عن الفعل

لمَّا نعرف ان العامة تحبُّ ان تعبر عن افكارها بعبارات مختصرة . ومن ذلك وقوع الاختزال في جميع الفاظها

١) وقد بيَّنَ حضرتهُ انَّ هذه الباء استُعملت في مواطن عديدة كالطلب والنفي والوعد والوعيد والريب والتوقُّع والتأكيد والشرط وضرب على كل ذلك امثالًا . ثمَّ رجَّح هذه الباء الى تعاليل ثلاثة على حسب مواطن وقوع الباء فتكون على رأيهِ امَّا منحوتة من « بدّي » بدلًا من « بودّي » . وامَّا باء التعدية « عمَّال باكل » اي « عمَّال بما آكل » وقد مرَّ ذكر هذين الرأيين . والرأي الثالث هو الذي نشير اليهِ

٢) راجع كتابهُ في اللغة العربيَّة العاميَّة (Manuel pratique de l'arabe moderne, p. 2 ed. 1880, n. 89)

ولكن لم يتّفق العلماء على تعيين هذا الفعل. فمنهم من يقول انهُ فعل « بدأ » وهو رأي حضرة الخوري الياس زيادة (١ (م ٣: ٤٧٧). ومنهم من يريد انهُ فعل « بات » وقد دافع عن هذا الرأي حضرة اللغوي الفاضل الاب جبرائيل رزق (م ٣: ٥٥٨) وأيّد قولهُ بامثال تقرّب الامر وتجعلهُ جديراً بالاعتبار. ومنهم من يفضل فعل « ابي يبي » بمعنى اراد. وهو فعلٌ كنّا نجهل وجودهُ

لكنّ السياح الاوربيين لسانٌ واحد في تقرير وجود هذا الفعل في انحاء كثيرة. فان العلّامة سوسين (Socin) اثبت استعمالهُ في بلاد نجد. والمسيو وتشتين (Wetzstein) تحقّق وجودهُ في دمشق. وهو مستعمل في حضرموت واليمن كما روى الكنت دي لندبرغ (٢ والدكتور شتومه (Stumme) دلّ عليهِ في تأليفهِ عن لغة العامّة في تونس وطرابلس الغرب. وقد وجدهُ في المغرب الدكتور كمفماير (ص ٨) واثبت ذلك بادلة حسنة. امّا اعتراض المعلم نعيم افندي صوايا لهذا الرأي (م ٣: ٤١٧) فقد اجاب عليهِ حضرة الاب انستاس بما يلي:

طالعتُ ما كتبهُ حضرة المعلم الفاضل نعيم افندي صوايا وما اورده نقلًا عن المقتطف. فرأيتُ فيهِ ما يمكن ان يُقوّم ذاك الرأي بالوجه الآتي: ان الفعل الذي هو بمعنى اراد في قول عرب المَترة: « انا أبي اروح » هو من بَأى يَبأى على موجب الصرفيين (لانهُ من مهموز العين) وبأى يبئي على انهُ مبدلٌ من بغى يبغي وهذا عن بغى يبغي بالغين. ثمّ حذفوا اخيرًا الهمزة طلبًا للخفّة فقالوا: « بَى يَبي » واذا تمهّد ذلك يسهل عليك معنى قول المَتريّين: « انا ابي اروح معك. وهذا الّي تبيهِ. وامس كُنّا نبي لكلا. . . وبي نسافر غدوةً »

اما حذف الهمزة في الكلام العامي والفصيح فلا حاجة الى التصريح بهِ لكثرتهِ. . . فحسبك ان تأخذ القاموس مثلًا بيدك وتنظر باب الهمزة ثمّ تقابلها ببابَي الواو والياء فترى العجب من ذلك

على انهُ يمكن ان يؤيد مذهب الكونت بالوجه الآتي: ان اصل « أَبى يَبي » أَبى يأبي الذي هو

١) راجع تأليفهُ Arabica III 102

٢) كتب لنا حضرة الاب انستاس في هذا الرأي ما حرفهُ: واما الرأي القائل: « ان الباء مقطوعة من فعل « بدأ » فيكون معنى « با كتب » ابدأ اكتب فهو دون الرأي الاول بريد رأي من يقول انّ الباء متعلّقة بمحذوف كقولهم « عمّال با كتب . لان العمل في المذهب الاول يُقيّد المعنى بقيد الحالية وهو المقصود من ادخال الباء على الفعل. امّا « البدء » فيدل على الشروع لا غير. والحال انك ان قلت « با كتب » فليس مرادك الشروع بالكتابة بل انك في حالة الكتابة

مقلوب آب يَؤوب الذي يقول فيهِ الأزديُّون آب يئيب بمعنى قصد يقصد كما قال الفصحاء من العرب في « آن يئين » ترقيق حان يحين: « انى يأني » (ومنهُ اشتقاق الإنو والإني والاناء بمعنى الوقت). وهذا الرأي (رأي القلب) وان لم يصرّح بهِ اصحاب المعاجم فان اللغويين اجهروا بهِ فمنهم ابو عُبيد في كتاب الغريب المصنّف في باب المقلوب. ومنهم ايضاً صاحب المزهر (١ : ٢٣٢ في السطر الاول). ثمَّ خُفّفت همزة يأبي بحذفها فصارت يَبي كما رأيت فُويق هذا. وكان القصد والارادة متقاربا المعنى لم يعسر نقل معنى الاول الى معنى الثاني

اما قول المعلم الفاضل صوايا افندي: « ولا اظنّهُ مصيباً لانيا وقد سمعت هذه الباء مع مضارع ابى » فلا يعني شيئاً. لانهم لمّا اخرجوا معنى القصد الى الارادة ومعنى الارادة الى مجرد معنى الحالية اصبح ذلك اللفظ بمنزلة الاداة تستعمل للحالية لا غير بدون اعتبار الاصل. وعليهِ فقد جاز بعد ذلك استعمالها مع كل فعل وان كان معناه الارادة. واما عدم اجتماعها مع بُدّي فهو لاجتناب لفظ الباء المتكرّرة التي تثقل على اللسان

فمن هذه النبذة ترى انَّ حضرة اللغوي المحقّق الاب انستاس ينحاز الى رأي العلماء الاوربيين. وكان في مقالة سابقة (م ٣ : ٤١٦) آثر على « أبى » فعلاً آخر هو « بأى يبني » بمعنى اراد ترقيق « بغى » وهو رأي ارتآهُ قبلهُ العلاّمة وتشتين (Wetzstein)

امَّا نحن فمع تفضيلنا قول العلماء. بان الباء العاميّة مقطوعة عن « ابي يبي » لا نحبُّ ان نجزم بهذا الامر حكماً

وخلاصة القول انَّ الباء العاميّة كما سبق كانت شائعة في الاقطار التي توطّنتها القبائل اليمنيّة. ولعلَّ هذه القبائل نقلتها الى العربيّة من لغة سابقة كانت تتكلّمُ بها في جنوبي جزيرة العرب. وما يزيد على رجحان هذا الرأي اننا نجد هذه الباء في اللغة الحميريّة كحرف يناسب باء العاميّة العربيّة ويتقدّم على المضارع: ذلك قول الدكتور كمفماير في كتابهِ (ص ٣٨) يؤيدهُ بملاحظات شتَّى لغويّة يسندها الى لغتي حمير والحبشة ولا يسعنا ان نخوض في البحث عنها. وانما نرجح القول انَّ حلَّ مشكل اصل الباء لا يتم الّا بدرس لغة جنوبي بلاد العرب. فكل هذه الفوائد تجعل كتاب الدكتور كمفماير ذا شأن وخطر فنشير الى قرّائنا الذين يعرفون اللغة الالمانيّة ان يطالعوا هذا التصنيف لعلّهم بمراجعته يجدون ما يرشدهم وايّانا الى الصواب. ونثني في ختام هذه النبذة على همّة مكاتبينا الذين ساعدونا في البحث عن احد مشاكل لغتنا العاميّة ونتمنّى من فضلهم ان يطرقوا باباً آخر مثلهُ ولهم منّا سلفاً الشكر العميم

الشهامة في حب الوطن

طرفة معرّبة بقلم المعلم الفاضل يوسف ابي سليان

في آخر الحرب العبوس التي استعرت نارها ما بين الفرنسيس والألمان سنة ١٨٧٠ لمّا كبا زندُ الفرنسويين وولّى أمرهم اقبلت فرقةٌ عظيمةٌ شعواء من العساكر الفرنساوية الى قرية من مقاطعة لوران (Lorraine) وكانت قد انحازت عن العدوّ وهي تسعى جهدها في الانضمام الى معظم الجيش الذي تخلّت عنهُ وانفصلت . ألا انَّ كثرة الآجام والغابات في تلك الاراضي قد حالت دون مرامهم وسدّت في وجوههم المسالك والمذاهب فارتعدت لذلك فرائصهم فضلاً عمّا كان يعتريهم من الخوف والذعر لعدم معرفتهم بقوّات الالمان ومواقعهم . فاقتنوا من ذلك بوقوع الواقعة وترول النازلة

وما وطئت طليعتهم ارض القرية المرقومة حتى اوقف القائد كامب الفرنسي عسكرهُ خارج البلدة واستدعى من هنالك أولي الامر فوجد أنَّ السكان وعمّال الحكومة قد أخلوها مرتحلين عنها فلم يبقَ فيها سوى راعي النفوس (الخوري) يقوم بخدمة العجزة الذين لا قدرةَ لهم على الفرار ولا طاقة لهم بمشقاتهِ الشاقة

فما عتم إذن أن اقبل الكاهن وكان اسمهُ بونتاك (Pontac) على القائد فرآهُ يحدّقُ الى خارطة صغيرة بيدهِ ليتبيَّن تلك الاراضي ويعرف ما فيها من المخارم والمخارج . غيرَ ان صغر الخارطة وما فيها من النقص في رسم الامكنة قد جعل القائد مرتبكاً لا يرى لهُ في امرهِ وجهاً يسلكهُ ولا نهجاً يهتدي اليهِ

فلمّا حضر الكاهن نظرَ اليهِ القائد نظرةَ يائسٍ خائب الامل لما التمحهُ في هيئتهِ من السذاجة فظنّهُ غير اهل للقيام بما كانت تنتدبهُ اليهِ مخاطر الحرب وطوارئها

وكان الكاهن ينيفُ على السبعين من عمرهِ وكانَ قصير القامة بادناً شديد البنية أغلبَ أوقصَ . ذا وجه منتفخ وبدين وارمتين . ورجلين منعولتين بمداس خشن . يتوكأُ على عصاهُ كأنَّهُ كلما قام ركع . فقال للقائد: لا تؤاخذني أنا مصابٌ بداء النقرس واني كما تراني من أحقر الناس واذلهم

واما القائد الذي كان من النباهة والفطنة بمكان فحدّق الى الكاهن ولم يلبث ان توسم فيهِ حذقاً وذكاء . فانهُ كان ذا عينين . صغيرتين برّاقتين . أوطف . بفم يفترّ

اقتران الظرافة والدهاء. وهيئة قروية تدلّ على كرم النفس وسلامة القلب. وذلك ما جعل القائد يرى فيه رجلًا ذكيًا عبقريًا حرًّا

وكان القائدُ في عنفوان شبابه غير ان الحرب اتعبتهُ واضنكتهُ. فقعد على صفّةٍ وامامهُ دكّةٌ صغيرةٌ على قارعة الطريق الكبرى. فأجلس الكاهن الى جنبه والخارطة الصغيرة على مرأى منهما. ثمَّ إن القائد قال وهو يتبسم استخفافًا بصاحبه: ها إني عازمٌ على عقد مشورةٍ بيني وبينك فيرَ كلٌّ منا في الحرب رأيهُ

فمدَّ الكاهن يدهُ الى جيبه واخذ علبة السعوط ففتحها على مهلٍ ثمَّ نشقَ نشقةً عظيمةً فقال جذلًا مسرورًا:

« بودّي أيها القائدُ لو أنني أذكرك بأنَّ التاريخ يُرينا في كل عهدٍ ان كنيسة المسيح أنارت مشورات حكام الارض بآرائها الصائبة ونصائحها الصادقة وانها هدت القوّاد والعساكر الى صراطٍ مستقيم... لكننا نحن في موقفٍ حرجٍ. فهات ما عندك في الامر: ما غرضك مولاي؟ من اين انت آتٍ؟ والى اين انت ذاهب؟ أقائمٌ أنتَ للحرب ام قاعدٌ عنها؟ »

فاجابهُ القائد على كل هذه الاسئلة وقد ركن اليه واطمأنَّ. فاخذ الكاهن آنئذٍ قلم رصاص ورسم على الخارطة خطوطًا فقال للقائد:

« انَّ بينكم وبين العدوّ مرحلة بل مرحلة ونصف مرحلة فلا يدرككم قبل صباح غدٍ. وعسكرك لغبٌ جائعٌ فان رأى القائد أن يدعهُ يريح يومهُ هذا فليفعل. والحذر الحذر من الاستراحة داخل القرية فانها تحدقُ بها التلالُ والآكام ووراء الاكمة ما وراءها. ولكن على خمسة اميالٍ من القرية هضبة مستديرةٌ يكتنفها النهر حتى يكاد يجعلها شبه جزيرةٍ وهي كثيرة الآكام ملتفّة الاشجار. فهناك تكونون في مأمنٍ من كلّ غائلة

ثمَّ انَّ العدوَّ إن تبع اثركم لا يسلك الطريق اللاحب الذي هو اطول من الدرب (القادومية) لأنهُ لا بدَّ لهُ حينئذٍ من أن يعبر الجسر كما رأيت. والبروسيان لا يجسرون على قطع الجسر مخافة ان يسقط بهم لو عبروه. وعليه فأراهم سيحازون عن الطريق المطروقة ويجتازون في هذه الغابة التي ترى (واشار الى حرجةٍ قريبةٍ من هناك) فلا يبلغون هذا المكان حتى صباح غدٍ

« على اني اعدكم الوعد الصادق ان طلائع العدوّ لا تطلع علينا حتى تسمعوا دقّ الجرس في كنيستي دقًّا متواترًا. وحينئذٍ ينصرف العشرون او الثلاثون جنديًّا الذين تقيهم في الضيعة من غير ان يطلقوا بنادقهم طلقًا واحدًا . ولا يكون انصرافهم في معظم الطريق بل في مضيق أدلّهم عليهِ لئلا يهتدي العدوّ الى موقعكم . امّا انتم فعليكم ايضًا ان تعدلوا عن الطريق العظمى وتسيروا بعيدًا الى الشمال من حيث ترون الفندق المعروف بفندق « الفرس الاشهب » وهكذا تأمنون من شرّ الطغاة ويفرق بين القومين النهر الذي لا مخاضة ولا معبر لهُ بتةً. وتحجبكم عنه الابصار تلالٌ وآكامٌ فلا يراكم احدٌ سحابةَ يومكم حتى تبلغوا معسكر الجيش الذي تقصدونهُ

« وها انا ادلك على بعض بيوت القرية فتجد فيها ما يضمن لك قوت عسكرك وسائر لوازمهِ . فانا أقيد كل ما تأخذونهُ وتعطيني أنت بهِ وصولًا موقعًا بامضائك. ولكن ارجو منك في ذلك تمام النظام ورعايةَ الحرمة لمقتنى الغير . فجميع السكان يساعدون على مصروف الجيش كلٌّ بحسب استطاعته . فإنهُ لَفرضٌ واجب علينا أن نقوم بمعاش من يناضلون عنّا ويحمونا من غارات العدوّ . هذا وهل يليق بنا أن نضنّ على اصحابنا ، الآن بما سيحرمناه العدوّ غدًا نهبًا وسلبًا ؟ »

ثمَّ انّهُ وقف غير طويل ثمَّ قال وهو يستعِطُ السعوط الطيب :

« هلمَّ الان مولاي مُر لي باربعة انفار من الصناديد الاشداء فيكون اثنان منهم في قبّة الجرس رقيبين يرقبان الآفاق ويتبعانها . واكونُ انا والاثنان الآخران في مدخل القرية قرب المعبد العتيق فنكون نحن ثلاثتنا طلائعَ الجيش نوافيكم بالاخبار عن حركات العدوّ . هلمَّ اختر لي جنديين يكون لهما جلدٌ وصبرٌ على برد الليل ودفع سِنَة الكرى . أعطني جنديين بطلين منجّذين حنكتهما التجارب . فإنهُ لا علم لي ولا دراية بما سيكون من امرنا هذه الليلة »

قال القائد: بحياتي ايها السيد لا اعدُّكَ الّا بطلًا

فقهقه الكاهن قهقهةً عظيمةً فاستعان بعلبة السعوط فقال وهو يستعط من سعوطهِ الطيّب:

« ان في مصفّ دُعاة الدين ابطالًا لا عددَ لهم كما انَّ في الثُكن أبطالًا معدودين

وشتان ما بين هؤلاء واولئك . . . ولكن ما لنا وهذا الحديث. افتعجب ايها القائد من حبنا للوطن او ليس حبُّ الوطن من الايمان »

فمدَّ لهُ القائد يدَ المصافحة مشعرًا باكرامهِ وجعل يرمقهُ بعين الاعتبار. فتبسم الكاهن تبسُّمَ رجل طيّب السريرة سليم الطويَّة ثمَّ قال:

« متى اصدرتَ اوامرك ونال كل جندي نصيبهُ من الاكل والراحة أذهبُ بك الى منزلي فنجدُ هناك عُجَّةً طيبةً وفروجًا مقليًا وخمرًا رحيقًا فنجتمع على الطعام تأكيدًا للمودَّة والانس »

قال ثمَّ انطلق يتوكأُ على عصًا من خيزران قد ورثها عن سالفهِ تذكرةً ثمينةً

ثمَّ ارخى الليل سدولهُ فطال وقوس بردهُ قوسًا. وكنت ترى تحت صُفَّةٍ او سقيفةٍ من عيدان الشجر تقوم على اربعة اعمدة لا جدران لها ثلاثة يتطلّون على العدو خلف حزمٍ من قضبان الزَّرجون وكلُّهم آذانٌ واعيةٌ صاغيةٌ الى اقل حركةٍ وهم يضربون بابصارهم نحو كل جهةٍ. فكانوا ينتظرون العدوَّ في هجعات الليل والعسكر نيامٌ.

وكان اثنان من الكمناء في غلواء الشباب من اشدّ الرُّماةِ بأسًا واسرعهم إطلاقًا واضبطهم رميًا يستند كلٌّ منهما الى بندقيتهِ. اما الثالث فكان اشيبَ مجلَّلًا متجلببًا بجلباب اسود وبيدهِ ناقوس المذبح وكان يرقب العدوَّ عن بُعد ليدقَّ جرسهُ اذا ما شاهد البروسيان مقبلين وتلك علامة لذينك الرَّاصدين في القبَّة ليدقَّا الجرس الكبير دقًّا عنيفًا متواترًا إيقاظًا لسائر العسكر

وكان في السقيفة سكوتٌ عظيم لا يسمع فيهِ سوى رِكز الكاهن الشيخ الذي كان يصلي الى الله صلاةً خاشعة حارَّة. ففي الهجعة الثالثة من الليل قال احد الراميَين: لا ارى هؤلاء الاجلاف يأتون الينا هذه الليلة. فحريٌّ بنا ان نفرَّ من هنا او نؤوب الى قومنا

ولم تمضِ بضع دقائق حتى وضع الكاهن شمالهُ على كتف الجندي واشار لهُ بيمينهِ الى موضع في اقصى الغابة لا يراهُ الَّا الذي منحهُ الله بَصر زرقاء اليمامة. فانهُ على مسافةٍ قريبةٍ من تلك السقيفة كانت نخيلةٌ واسعةٌ تحيطُ بجهاتها الاربع اشجار باسقةٌ وتعرف عند اهل تلك البلدة بغابة العين. يذهبون اليها في مخرفٍ يصلح لمردد

المركبات. إنما ذلك الطريق اللاحب كان ليلتئذٍ فارغاً من المارّة يتمكن البصر الجيّدُ من رؤيته حتى أقصاه

غير أنهُ لم يكُ يلوحُ للجنديين غير اشجار لا حركةَ لها وادغـال يتلاعب فيها نسيم الصبح فيُسمع لها حفيفٌ خفيفٌ لطيفٌ

وما زالا يحدّقـانِ الى ذلك الموضع وهما لا يريان ما يرى الى ان كلمهما الكاهن همساً :

— ألا تنظران جيش العَدوّ ؟ صعّدا فيهم البصر وصوّبا . . . ألا انهم ماشون وراء جدول السنديان متسترين . . . لقد وقفوا ليسمعوا . . .

الرامي الاول : — لستُ ارى شيئاً

الرامي الثاني : — ولا انا ارى شيئاً

الكاهن : — انهم يتجمعون واوشكوا ان ينقضُّوا علينا

— ها إنّ قائدَهم يكلّمهم همساً

— لقد آن أنْ الدقّ . . فها انا داقٌّ بناقوسي هذا تنبيهاً لقومنا . . امّا انتما ايها العزيزان فانسلّا من هنا وتواريا عن ابصارهم بحفظ الله

الراميان سويةً : — بابي أنتَ وأمي ! ماذا يحـلُّ بك لو تركناك عرضةً للهلاك ؟ لا لا إنّا والله لنبكثنّ ولنمنعنّك مما تمنع منهُ انفسنا حتى تفنى ارواحنا !

الكاهن : — ولداي ! ما انا الّا هرمٌ قريبٌ من شفا الرمس راجٍ من الله في وجهي هذا خيرًا . . . وامّا انتما فعليكما بالرضوخ لامر القائد الذي يأمركما بالانصراف اليه عند قرع هذه الجريسة . فطيعاهُ ولا تخالفا لهُ امرًا وها أنا لكما مبـاركٌ فاذهبا بسلام

قال فقرع جريستهُ قرعاً سريعاً عنيفاً ولم يكن كارتداد الطرف حتى اجابهُ قرع الجرس الكبير بالمثل

وللحال أُطلقت البنادق وسقطت القنابل وعلت الصيحات وأُصليت نارٌ حامية سدّ دخانُ بارودها الفضاء حتى خُيل ان نارًا جهنميّةً تلتهم ذلك [illegible] التهاماً

فسجدَ كاهن الله على الحضيض ثمّ رسم اشارة الصليب فصلى لربهِ [illegible] الصلاة : « ابانا الذي في السماوات . . . » فاصابتهُ رصاصة فسقط

اما السريّة الفرنساويّة ففرّت في المضيق الذي اشار اليهِ الكاهن في الامس فبلغت معسكر اللواء عند العشاء ولم تخسر وقتئذٍ من رجالها رجلًا واحدًا

ولمَّا ان ضمَّ القائد فرقتهُ الى سائر العساكر اخبر اميرَ اللواء بكلّ ما جرى لهُ مع الكاهن فقال الامير آسفًا: «يا لهُ من كاهن بطل لقد ذهب شهيد الوفاء لله والحبّ للوطن»

على انّ الكاهن لم يكن قد أُصيب بغير جرح خفيف لا يُخشى فيهِ من خطر. فنقلهُ الألمان على عجلة الى معسكرهم ثمَّ احضروهُ مجلسًا حربيًّا فحكموا عليهِ بالاعدام جزاء خيانتهِ للعساكر الالمانية. غير انهم عدلوا عن قتلهِ حرمةً لجلال السن والكبر فقضوا بحبسهِ مؤبدًا

فلمَّا قيد الى المانية اتفق انهُ التقى بالقائد الذي كان يزعم ان الكاهن الغيور قد مات قتيل الشهامة والمروّة. فدنا منهُ فقال ضاحكًا: كيف وجدت عجّتي؟ فعرفهُ القائد واجاب على فورٍ وعيناه مغرورقتان بالدموع: «سيدي ما انت الّا بطل». ثمَّ وثب كلٌّ منهما على عُنق صاحبهِ فتعانقا طويلًا»

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٤ المطابع في بيروت

٤ (المطبعة السوريّة) هي المطبعة الرابعة التي أُنشئت في بيروت كان تاريخ إنشائها سنة ١٨٥٧ بهمّة صاحب السعادة والشاعر المجيد خليل افندي الخوري مدير المطبوعات سابقًا. وكانت الغاية الاولى من انشائها إصدار جريدة لولاية سوريّة وكان هذا المشروع يقتضي في تلك الأيام عزيمةً كبرى ونفقات طائلة غير انّ هذه الاعتبارات ما كانت لتثبّط جناب منشئها عن العمل. فقام بهذا المشروع واصدر جريدتهُ الاسبوعيّة المعروفة بحديقة الاخبار جعلتها الحكومة السنيّة جريدتها الرسميّة. وهي اول جريدة عربية ظهرت في بلاد الشام بل وفي غيرها من البلاد العثمانيّة الّا جريدة تركيّة صدرت

مدّة اسمها « جريدتي حوادث ». وكانت حديقة الاخبار في اول الامر عربية محضة. ثم صدرت في العربيّة والفرنسية معًا سنة ١٨٧٠. وهي لا تزال على ذلك الى يومنا(١. اما ادواتها فقد استُجلبت من فرنسة وانكلترة. وقد اخذ صاحبها شيئًا من حروف مطبعتنا

وقد صدر من هذه المطبعة بعض التآليف نورد هنا اسماءها حسب تاريخ نشرها: ١ً القوانين التجاريّة (١٨٥٩: ص٦٦) = ٢ً قانون الجزاء الهمايوني = ٣ً الدستور (جزءان) ثم جُدّد طبعهُ في المطبعة الادبية = ٤ً ديوان المتنبّي ضبطهُ وعلّق حواشيهُ المعلم بطرس البستاني (١٨٦٠ – ١٨٦٢. ص ٢٧٢) = ٥ً رواية مداموزيل مالابيار تعريب سليم افندي بسترس (١٨٦٠. ص ٨٤) = ٦ً وَيْ اذن لستُ افرنجي. رواية خليل افندي الخوري (١٨٦٠ ص ١٦٢) = ٧ً ديوان الشيخ عُمر بن الفارض (١٨٦٠. ص١٠٦) = ٨ً النزهة الشهيّة في الرحلة السليمية (١٨٦٢. ص١٢٢) = ٩ً العصر الجديد من نظم خليل افندي الخوري (١٨٦٢. ص٢٦٠)= ١٠ً النشائد الفؤ... في ترجمة ومدح فؤاد باشا (١٨٦٣. ص ٧٤) = ١١ً سيرة رافع الهلاليّ (١٨٦٤. ص ٦٠) = ١٢ً تذ... لصبحي باشا عرّبهُ خليل افندي الخوري جزءان (ص١٨٢ و ١٠٦) = ١٣ مقامة الامام ... ١٢٨٠ (١٨٦٣) ص١٤ = ١٤ً تذكار الصداقة (١٢٨٦هـ – ١٨٦٩ م. ص ٩٢) = ١٥ً ال... من نظم خليل افندي الخوري (١٨٦٨. ص ١١٨) = ١٦ً لائحة تتضمَّن ما ارتكبهُ ... في فرنسة من الفظاعات (١٨٧١. ص ٩٥) = ١٧ً مواقع الافلاك في وقائع تليـ... ...ة بك بدوي رافع (١٨٦٧. ص ٧٦٢) = ١٨ً خرابات سوريّة لاسكندر بك ابيكار ... (١٨٦...) = ١٩ً رواية عائدة ذات خمسة فصول لسليم خليل افندي نقّاش (١٨٧٥. ص ...) ٢٠ً آثار الادهار قسمان تاريخي وجغرافيّ لسليم جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحاده ... . ص ٧٨٥) لم يكمل طبعهُ = ٢١ً قصّة المركيز دي مونتج. الى غير ذلك ممَّا لم نتحقـ...

٥ (المطبعة العمومية) منشئ هذه المطبعة هو يوسف بن فارس بن يوسف الخوري الشلفون الماروني (٢ خدم وهو في ريعان الشباب في مطبعة سعادة خليل افندي الخوري بصفة مرتب حروف ومصحح مطبوعات مدّة سنتين. ثمّ استدعاهُ فؤاد باشا

---

١) وقد اخذنا كثيرًا من هذه الفوائد عن سعادتلو خليل افندي الخوري بنفسهِ. فنشكرهُ على لطفهِ وبهذه النسبة نهنئهُ على سلامتهِ ونتمنّى لهُ عمر... ...يلًا رغمًا عمَّا كتبهُ حضرة اللوذعي الاديب والشاعر اللبيب محمَّد حسني افندي العامريّ في كتاب ... الباب في تاريخ مصر وشعراء العصر (ص ٢١٦) حيث قال: « فقيد الادب المرحوم خليل افـ... الخوري مدير بوليتيكه سوريًا المتوفّى في اواخر سنة ١٨٩٤ ». فللهِ درّهُ من عالم لوذعيّ يعرف مثـ... ...مانهِ ويدقّق عن سنيّ وفاتهم

٢) كان يوسف الخوري حاكمًا على ساحل لبنان من قبل الامير بشير الـ... ...ير